الذكر والعشر (١)

أ. أناهيد السميري

يوم الإثنين ٣٠ ذوالقعدة ١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

- الكمال لله عزّ وجلّ، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

عناصر اللقاء :

بعض الأدلة على فضل الذكر:

- في الحديث: ((مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ)).
- قال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾
- في الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى: ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً))
- ((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟))
- أبو الدرداء رضي الله عنه لما قال: "إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ جِلَاءً، وَإِنَّ جِلَاءَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ"
- ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

أنواع الذكر:

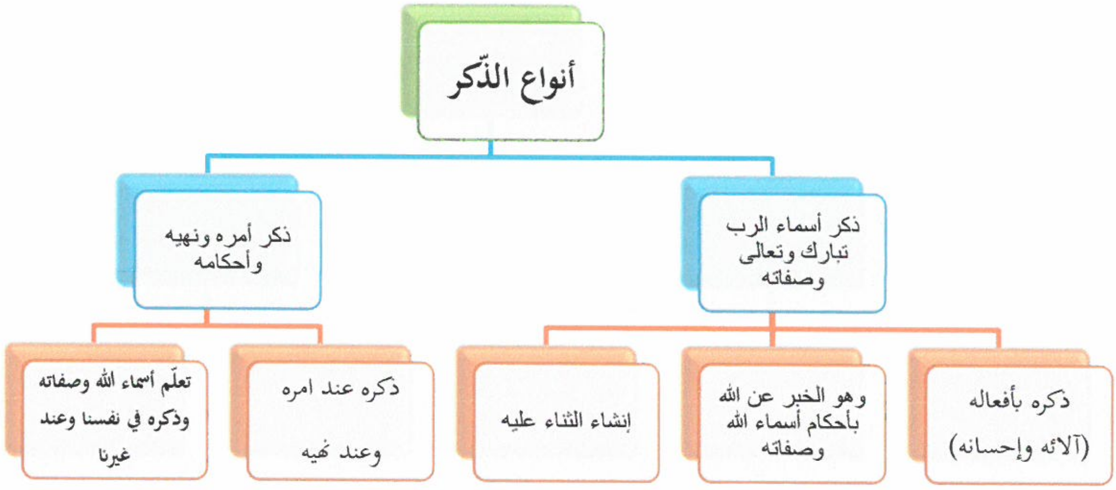

حقيقة الذكر:

- المعرفة اليقينية تؤدي إلى الذكر الحقيقي.
- انشغال القلب بالله يؤدي إلى الذكر الحقيقي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله عز وجل حمدا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الزمان الفاضل وهذه الأوقات المباركة شاهدةً لنا ننتفع بها بكثرة ذكره وشكره، وأن نكون ممن أحسن عبادته سبحانه وتعالى.

وفي هذه اللقاءات ـ إن شاء الله ـ التي ستستمر من هذه الليلة المباركة –ليلة الأول من شهر ذي الحجة– إلى إن شاء الله يوم الخميس سنتكلم عن هذا الموضوع المهم وهو (**الذكر والعشر**).

ذِكْر الله في هذه العشر الفاضلة التي قد منّ الله ـ عز وجل ـ بها على خلقه، وجعل فيها عمل هو **روح العبادات**، فكان أعظم الأعمال في هذه العشر خاصة **ذكره سبحانه وتعالى**.

وسيتبيّن لنا كيف أنه اختار لنا سبحانه وتعالى ذِكرًا جامعًا يخصّ هذه العشر، فتزداد بركتها علينا، ويزداد انتفاع **من جمَع قلبه فيها**. فنسأل الله ـ عزّ وجل ـ أن يجعلنا ممن ذكره حقًّا بقلبه ولسانه.

فضل الذّكر:

نبدأ أولًا بالكلام حول ذكر الله على وجه العموم ومكانته في الشرع ثم إن شاء الله نتكلم عن الذكر الذي يخصّ هذه العشر.

فنقول وبالله التوفيق:

إنّ من أعظم نِعَم الله ـ عزّ وجلّ ـ على خلقه أن يسّر لهم أن يذكروه بلسانهم، وعلّمهم عن نفسه سبحانه وتعالى ما يزيد ذكرهم صدقًا، ويزيد قلوبهم شوقًا، وكما ورد في الحديث: ((مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ))[١]، فهذا فضل الله تفضّل به على عباده أن يسهل عليهم ذكره سبحانه وتعالى وأن يعرفوه معرفة تسبّب لهم الذكر، فإنّ الذكر لا يكون حقًّا إلا لمن عرف الله ـ عز وجل حق المعرفة، وهذا الرابط المهم يجب عدم الغفلة عنه لأنّه هو حقيقة الذكر، وسيتبيّن ذلك إن شاء الله في مضامين الكلام.

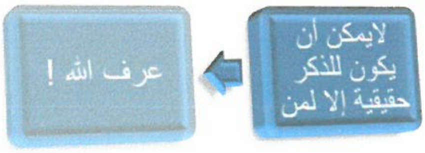

[١]رواه البخاري في صحيحه

فإذا عرفنا أنّ هذا مِن فضل الله أن يُسّر علينا الذكر بل ويُسّر علينا المعرفة الدافعة للذكر، كان الشكر اغتنام هذه العطيّة وتذكير النفس بها، فلما يزيد على هذا وهذا الأجور التي رُتّبت والمصالح التي عُلّقت بالذكر فسيكون الذكر وقتها من الأمور النفيسة التي يحرص عليها مَن فَقِهَ غاية خلقه وعرف مسيره إلى ربه.

فنذكّر أنفسنا الآن بشيء من فضل الذكر كما ورد في النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة:

∴ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾[٢] وهنا يتبيَّن أن الذاكرين أثر ذكرهم لربهم أنه يصلي عليهم سبحانه وتعالى، هو بعظمته وجلاله يثني عليهم وملائكته.

∴ وفي الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى: ((**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**))[٣] والشاهد : ((**وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ**)).

وهذه كلها دلالاتها عظيمة أنّ العبد الفقير في الأرض مهجور الذكر يرى نفسه أنه لا يُعتنى به، يرى نفسه أنّه أُهمل من قومه والناس حوله ينسونه وهو يذكرهم ويبحث عنهم، فإذا تنبّه أنّ ذكر القوم **مرض للقلب**، وأنّ ذكر الله **شفاء له**، فإنّ الذاكر الصادق صاحب العقيدة الصحيحة في ربّه متيقّن أنّ الله يذكره إذا ذكره.

فإن صحّ إيمانه ويقينه بربّه، تحوّلت حاجته للذكر والاهتمام والعناية من الخلق الضعفاء – الذين إذا ذكروا اليوم بخير ربما ذكروا غدًا بشرّ– إلى ذكر ربّ الأرباب الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يعود شأن كل شيء، فهذا الأمر عند المؤمنين شأنه عظيم!

∴ وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟**)) قَالُوا: وَذَلِكَ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: ((**ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**))[٤].

ولو عددنا الأمور التي تدلّ على هذا الفضل في هذا الحديث لوجدناها عجيبة تجمع الدين!

١. فأوّلًا قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مشوقًا لأصحابه: ((**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ**))تشويقًا لهم لتجتمع قلوبهم على هذا الشأن الذي سيخبرهم به.

---

[٢] الأحزاب

[٣] متفق عليه.

[٤] رواه أحمد في مسنده وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح.

٢. ثم زاد هذا الشوق فذَكر لهم صفات لذكر الله، فكانت أول صفة تدلّ على قبل الذكر أنه قال لهم: ((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ))هذا تفضيل على الإطلاق، خير الأعمال.

٣. ((وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ)) وهي الأزكى، فهي تزكو وتنمو وتتضاعف عليها الأجور!

٤. ووصفها أيضًا بعد وصفها بأنها خير الأعمال وبأنها أزكى عند المليك ((وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ))، فهي سبب لرفعة درجاتكم وقد كانت سبب لمضاعفة حسناتكم.

ولما ننظر ((عِنْدَ مَلِيكِكُمْ)) ونرى هذه الصفة المثبتة لله، ونرى أثرها على الأعمال، فالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخبرنا بخير عمل وأزكى عمل:

- عند الملك الذي ستلقونه فيحاسبكم.
- عند الملك الذي بيده ملك كل شيء.
- عند الملك الذي إذا وعد لا يُخلف، الصادق في وعده، السريع في حسابه.

فيخبرنا صلى الله عليه وسلم بخير هذه الأعمال وأزكاها وأرفعها في الدرجات، فهي من جهة الأعمال خير، ومن جهة الأجور أزكى، ومن جهة الدرجات والمكانة أرفع.

٥. ثم يقارن هذا العمل بأعمال عظيمة في الإسلام، فيقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ))وفي رواية ((من إنفاق))والإنفاق من أقرب الأعمال زكاة للنفوس، يعني أقرب ما يزكي النفوس هو الإنفاق ولذلك من قوة أثر الإنفاق سميت الزكاة زكاة؛ لأنها تزكّي نفس صاحبها، من أعظم الأعمال التي تسبّب التزكية والطهارة لأن العبد لما يُخرج المال :

- يدل على إيمانه بحقيقة الدنيا.
- ويدل على إيمانه بالآخرة وانتظار الثواب فيها، يعني يعرف الدنيا وحقارتها، ويعرف الآخرة وعظمتها.
- ويدل على معرفته بربّه فيعرف الرب وملكه وعوضه وعطاؤه.
- و يعرف أنه مُلّك اختبارًا، يعرف حقائق كثيرة ولذلك لما يخرج المال من طيب نفس يكون قد زكّى نفسه.

ومع ذلك العمل الذي تكلم عنه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال في حقه هنا: ((خير لكم من إنفاق الذهب والفضة)) والذهب والفضة معلوم أنها من أكثر الأموال نفاسة عند الناس، **فإذا كان إنفاق الذهب والفضة يزكّي النفس فهذا العمل أفضل منها.**

٦. وأيضًا يأتي العمل الآخر الذي فضّل عليه ذكر الله: ((وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ))وهذا معناه الجهاد بالسيف.

فهذا الذكر عمل عظيم حتى أنه أعظم من الجهاد، من أن يَقتل ويُقتل في سبيل الله.

فيالله كم وراء الذكر من خيرات! لكن لو تبيّن لنا حقيقة الذكر سنعرف أنه نعم لو كان الذاكر:

- صادق في ذكره
- قد حقّق معرفة الله
- وحقّق حبّ الله وتعظيم الله

فكان ناتج هذا عمل في القلب نتج عنه حركة اللسان، لعُلم بالضرورة أن الذكر سيكون أعظم الأعمال، وأن الأعمال بعده وناتجة منه وخارجة من أثره.

إذا تحققت هذه الشروط وجود المعرفة المؤدي للمحبة والتعظيم، المؤدي إلى حركة حقيقية في القلب تسبب حركة في اللسان وإن شاء الله لنا كلام في هذا بالتفصيل.

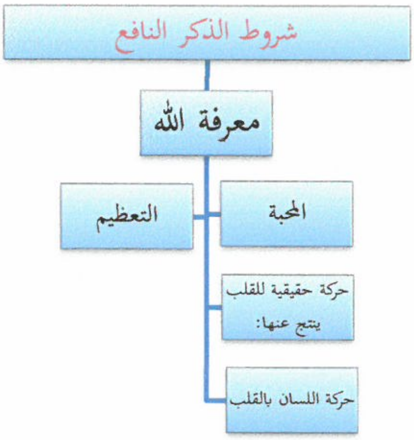

وبهذا نفهم كلام أبو الدرداء رضي الله عنه لما قال: "إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ جِلَاءً، وَإِنَّ جِلَاءَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ"[٥].

والله يقول في كتابه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[٦]، وهذا مقياس صعب! كأنه يقال لا تتخذ جليسًا ولا صديقًا حميما ولا تعاشر وتجاور من هو في غفلة عن ذكر الله، فإن الغفلة عن ذكر الله دليل اتباع الهوى.

---

[٥] شعب الإيمان.

[٦] الكهف: ٢٨

إن أردت أن ترى الرجل الذي يحكمه هواه أو يحكمه الوحي انظر إلى ذكره لربه، وفي الآية: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ فعُلم أن **الذكر الحقيقي على اللسان لابد أن يكون معه يقظة حقيقية في القلب**، لابد أن تكون هناك يقظة! ونحن لا نريد أن نستعجل هذا الجزء إن شاء الله يأتينا بيانه بوضوح خلال هذه اللقاءات الأربعة.

أنواع الذكر:

نأتي لأنواع الذكر: من هو الذي سنقول عنه أنه ذاكر؟

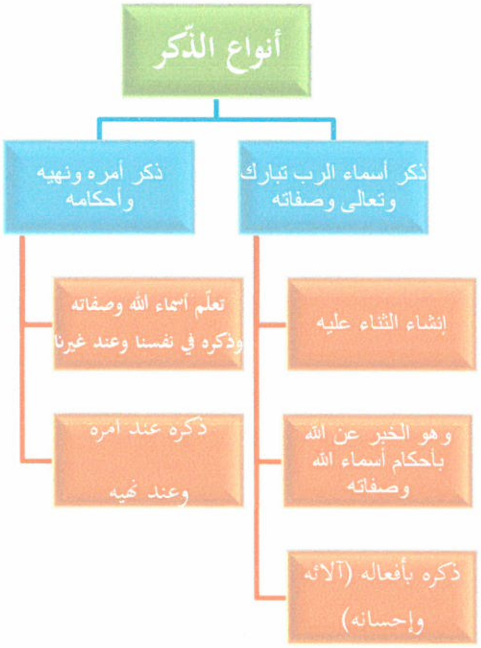

فنقول **الذكر نوعان:**

النوع الاوّل : ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته :

والثناء عليه بهما وتنزيهه سبحانه وتعالى وتقديسه سبحانه وتعالى عما لا يليق به، وهذا النوع الأول تحته **نوعان:**

النوع الأول: إنشاء الثناء عليه.

فمثلًا قول العبد "سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" بهذا ينزّه الله عن النقائص، قوله "الحمد لله" هذا ثناء على الله، فمعناه أن الذاكر يذكر أسماء الرب تبارك وتعالى ويثني عليه بهما ويقدّسه.

إما أن يقول إجمالًا مثلًا سبحان الله أو يقول الحمد لله، القائل **سبحان الله** يعني يقول أنزّه أسماء الله وصفاته عن النقص، والقائل **الحمد لله** يقول أنا أصف الله بالكمال.

النوع الثاني: وهو الخبر عن الله بأحكام أسماء الله وصفاته.

فمثلًا نقول الله يحاسب العباد، الله يلطف بالعباد، الله يحفظ العباد، **فكل من أخبر عن الله بأحكام الأسماء والصفات فهو ذاكر لأسماء الله**، وهنا طبعًا يشترط أن يكون هذا الذاكر لأحكام أسماء الله وصفاته يعرف الله ويثبت له الصفات من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

والنوع الثاني من الذكر: **ذكر أمره ونهيه وأحكامه:**

نذكر ماذا أمر هنا، عن ماذا نهى هنا، فنذكر أمره ونهيه وأحكامه.

وهذا أيضًا **نوعان**:

النوع الأول: أن نتعلّم نحن وتدارس أو نخبر غيرنا بأن الله أمر بكذا أو نهى عن كذا، فنحن نذكره ونذكر أوامره لأنفسنا أو لغيرنا.

والنوع الثاني: ذكره عند أمره فنبادر إليه، وعند نهيه فنهرب منه.

فإذا سمعنا المؤذن يؤذّن بادرنا إلى الصلاة، إذا رأينا الخصومات تحصل عرفنا أنها من الشيطان هربنا منها، لو رأينا الناس دخلوا في جدال نتذّكر الجدال وحكمه في الشرع فنهرب منه، كلما مررنا بموطن أمر ذكرنا الله فائتمرنا، وكلما مررنا بمواطن نهي ذكرنا الله فانتهينا. فهذا من عظيم ذكره سبحانه وتعالى.

في النوع الأول الذي هو ذكره بأسمائه وصفاته، أيضًا ذكره بأفعاله سبحانه وتعالى، فذكْر آلائه وإنعامه وإحسانه وفضله على عبيده، هذا كله من أنواع الذكر الأول.

١. نذكر الله بأسماء الله
٢. وبصفات الله
٣. وبأفعال الله.

فإما نذكره -كما تبيَّن لنا أن هناك نوعان تحت النوع الأول- إما أن ننشأ الثناء عليه فنقول سبحان الله أو الحمدلله، وإما نخبر عنه بأحكام أسمائه وصفاته، يُضاف على الأول أمر ثالث: وأننا نذكر آلاؤه وعطاياه هذا أيضًا من ذكره بأسمائه وصفاته.

نقول أكرمنا، نقول رزقنا، هدانا، هذه أحكام الأسماء وفي نفس الوقت آلاء وإنعام وإحسان، فإما تدخل في الثانية وإما تنفرد عنها.

إذن سنقول باختصار: الذكر نوعان:

النوع الأول: ذكر لله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله، إما تسبحه وإما تذكر أحكام صفاته وإما تذكر آلائه وإنعامه.

النوع الثاني: ذكر أمره ونهيه وأحكامه، وعلى ذلك ستكون دروس العلم والاجتماع حولها من أنواع الذكر لله، لأن القوم يتعلّمون عن ربهم أسمائه وصفاته، ويتعلّمون الأحكام، ويتعلّمون ما هي مراضي الرّب الكريم وكيف يصلون إليها، فيكون هذا كله داخل في ذكره سبحانه وتعالى.

وبهذا عرفنا والحمد لله بعض الأدلة الدالة على فضل الذكر وعرفنا أنواع الذكر.

حقيقة الذّكر :

نرى الآن **حقيقة الذكر** وكيف أن هذه الحقيقة إذا تبيّنت لا نتعجّب من الأجور المرتبة على ذكر الله.

فنبدأ ببيان أن ذكر الله لا يمكن أن يكون حقيقة إلا **إذا عرف الإنسان من هو الله**، فإنّ الذاكر ليس فقط خلاف الناسي أو خلاف الغافل، إنما الذاكر في حقيقته هو **العارف الذي إذا عرف لَزِم**.

ولذا ننظر لأولي الألباب الذين جعلوا كل شيء حولهم سببًا لمعرفة ربهم، وقد امتدحهم الله بأنهم يتفكّرون في خلق السماوات والأرض وأنهم يقولون ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾[٧] فلننظر لحال أولي الألباب ونتصور حال الذاكرين.

فإن الذّاكرين على الحقيقة لهم قلوب (مشغولة بالله)!

- ترى آثار كمال الله في كل شيء
- وترى وعد لقاء الله في كل شيء.

فهذه القلوب عرفت الله بأسمائه وصفاته، عرفت أنه حكيم، عرفت أنه عليم، عرفت أنه قريب، أنه مجيب، عرفت أنه لا يؤوده أي لا يثقله حفظ السماوات والأرض. حفظ السماوات والأرض، من قوّته وقدرته .

---

[٧] آل عمران: ١٩١

فنظرت في السماوات والأرض ورأت سعة الأرض وتكاثر أهلها ومن يسكنوها من الإنس والجن والحيوانات وما فيها من زرع أمور لا تُعدّ، ومن جمادات، ونظروا في السماء، فرأوا صفحتها تشهد على عالمٍ بعيد مليء بالنجوم والأجرام، قالوا لا يمكن أن يكون هذا باطل! لا يمكن! زادهم ما نظروا إليه إيمانًا بالله.

- رأوا تفاصيل أشياء في السماوات والأرض قالوا يارب ما أعلمك!
- رأوا تفاصيل في السماوات والأرض قالوا يارب ما أحكمك!
- رأوا تفاصيل أخرى و قالوا يارب ما أقربك!
- رأوا تفاصيل أخرى و قالوا يارب ما أعظمك!
- ورأوا كيف كم أن له من قدرة! تحيط بكل شيء علمًا!

فهذا كله **ولّد ذِكر الصادقين**، فلما تفكّروا في السماوات والأرض بقلوبهم، استجابت ألسنتهم أن يقولوا ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴾ . كان يسير على اللسان أن يخرج منه هذا الكلام العظيم، والسبب أنّ القلوب مشغولة بالله، عرفت الله وأصبحت ترى بعين من يعرف الله، وهذا ما أعجبه في القرآن وأكثره!

فإن الله في كتابه كثيرًا ما يُخبر عن الأعمى والبصير، ومن دقّق ولاحظ ورود الخبر عن الأعمى والبصير في كتاب الله، يتبيّن له أمْر مهم وكيف أنّ:

- ✓ المؤمنين يوصَفون بالبصر.
- ✓ والكافرين يوصَفون بالعمى .

عن أي شيء،؟ غالبًا أنه يكون ظاهر في النصوص.

في سورة غافر يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ ﴾[٨] يعني يقولون هذه الآيات التي حولهم والتي تأتي بها الأنبياء ليست صحيحة، لا تدلّ على أنّ الله يستحقّ التأليه وحده، لا يدلّ على أننا سنُجمع عند الله فيقول الله إن الذين يجادلون في هذه الآيات يجادلون ووصفهم أنهم يجادلون بغير سلطان آتاهم،ما الذي يدفعهم للجدال؟ ﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾لن يبلغوا أثره، هذا الكبر يريدون وراءه أن ينفوا الآيات ويذهبوا بأثرها من الناس ما هم

---

[٨] غافر: ٥٦

ببالغيه ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ثم يأتي أمام ما فعلوه من كبر ينبههم الله ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون أن خلق السماوات والأرض أكبر منهم؟! لا،أكثر الناس **لا يعلمون أن ما في قلوبهم من عمى يمنعهم أن يروا الآيات ولا يفكروا فيها**، ولذلك أتت بعدها: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ .

يعني هذه آية من الآيات الكونية ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ ، ﴿لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الإنسان إذا أصيب بعمى في قلبه فإنه لا يستطيع أن يذكر الحقيقة ولا أن يفكّر فيها ولا أن يستفيد منها،ولذا قال مباشرة سبحانه وتعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ . . ﴾ لا يمكن أن يستوي الأعمى والبصير، فإن الأعمى لا يرى الآيات، في مقابل أن البصير يتبصّر فلا تراه إلا وقد أقبل على الإيمان.

ولذا لما نقرأ في الأنعام نسمع الله عز وجل يخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم، قبلها: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩) قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ ما وصفه صلى الله عليه وسلم؟

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[٩] يعني الذي يرى حال النبي صلى الله عليه وسلم ويرى دعواه ويكون بصيرًا سيتفكر! فإذا تفكّر آمن، آمن بكمال الله، آمن بعظمة الله، وصل إلى ما كان يجب أن يصل إليه.

لكن الأعمى لا يمكنه ذلك، يرى حوله آيات الله، يرى حوله أخبار عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرى حوله ما يدله على الحق لكنه لا يرى!

ولذا في فاطر الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾[١٠].

فكل هذه الأمور تامة الوضوح كما أن الأعمى لا يمكن أن يستوي مع البصير،وكما أن الظلمات لا يمكن أن تستوي مع النور، وكما أن الظل لا يستوي مع الحرور، وكما أن الأحياء لا يمكن أن يستوي مع الأموات، فكذلك لا يستدل على الحق الأعمى ولا

---

[٩] الأنعام.

[١٠] فاطر.

الذي في الظلمات ولا الميّت، لا يمكن أن يستدل هؤلاء على الحق وعقولهم كلهم ما دلتهم على الله ولا نفعتهم في عقيدتهم التي هم في نهاية الأمر من ورائها إما أن يذكرون وإما أن يتركوا الذكر؛ **لأن الإنسان يذكر على ما في قلبه** إن كان حقًا ذاكرًا.

فبهذا اتفقنا على أنّ الذكر الحقيقي إنما يأتي بعد المعرفة، **المعرفة اليقينية** تكون بالضبط كالنور، تكون بالضبط كالحياة، تكون بالضبط كالبصر، يرى الإنسان من ورائها، إذا عرف معرفة يقينية ونظر، رأى آثار كمال صفات الله في كل شيء، فاضطر لسانه مباشرة للاعتراف بكماله ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ .

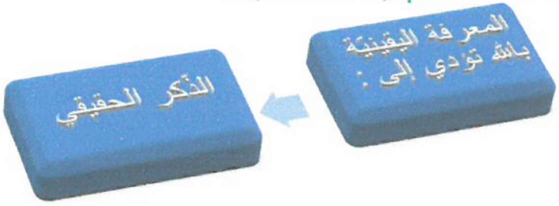

وهذا القلب الذي عرف الله ستجرّه معرفة الله ومعرفة آلاؤه ونعمه وعطاياه إلى أمر في غاية الأهمية، وهو الشعور بمحبة الله، فإنّ مَن نظر إلى آلاء الله وعطاياه، نظر الصادق المميّز صاحب البصيرة الذي انكشفت له الحقائق بعدما تأمّل في عظمة الله وتأمّل في جلاله وسلطانه ورأى أنّ كل شيءٍ بيده، ينظر في صفحة السماء فلا يرى إلا آثار كمال الله، شمس تشرق وتغرب بأمر الله، يعلم هو بعقله أنه لو اجتمع هو ومن في الأرض جميعًا لكي تقف ثانية لا يستطيعون، ويعرف أن هو ومن في الأرض جميعا لا يستطيعون حتى الاقتراب منها، يراها ويرى آثارها، ويعلم كم لوجودها من نعمة من الله، ويعلم أنها لو غابت عنه وامتنعت ما استطاع أن يأتي بها ولا بالمصالح التي ورائها، علم أنها ليست بيده.

وتأتي في صفحة السماء النجوم العظيمة يتأمّلها ويتأمّل لمعانها وغيابها وظهورها ويرى حركة دؤوب لا تقف، فيعلم عظمة الله، وكيف أنّ السماوات والأرض أكبر من هذا الإنسان الذي هو مفردة من مفردات هذه الأرض، فيطيل التأمّل فيعرف من هو الله.

هذا الكلام ليس عن الكفار إنما هذا الكلام عن المسلمين، لأن أولي الألباب هؤلاء من المؤمنين، يتفكرون في خلق السماوات والأرض ثم يخرجون بهذه النتيجة، فلابد أن يخرج من لسانهم: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ .

فالمقصود أنهم بعدما يعرفون عظمة الله كما ينبغي، ينتقلون بأفئدتهم التي أصبحت **رقيقة** تحت عظمة الله، ويتأمّلون في آلائه وعطاياه، ويرون آثار إنعامه عليهم، **فتراهم كلما زادت أعمارهم، زادت قلوبهم رقّةً ويقينًا**؛ لأنهم يرون في حياتهم:

كم لطف الله بهم!

كم أعطاهم الله!

كم متعهم الله!

فلمّا يفكّرون في الإحسان ويتذكّرون، لابد أن يخرج من ألسنتهم ⟸ذكر ربهم.

ولما يتفكّرون في آلائه وعطاياه، يخرج من ألسنتهم ⟸ التسبيح والتكبير.

ولما يفكرون في آلائه وعطاياه وذنوبهم، لابد أن يخرج من لسانهم ⟸ الاستغفار.

فإنّ استغفار الصادقين إنما هو عن علم ويقين بأنّ الله غفور رحيم وأننّا مذنبين، و(مذنبين) هذه لابدّ أن يكون بطول التأمّل في نعم الله وفي عطاياه، وفي مقابل ذلك طول تأمّل في حالنا وتقصيرنا.

ولذا من الطبيعي جدًا أنك تجد الرجل الذي رُبّي على الإيمان أنّه إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة وبدأ يفكّر بطريقة صحيحة استوى فيه قواه يقول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[11]، فهذا الذي بلغ الأربعين وتربّى كما ينبغي، ونضج فيه اليقين، تراه جمع في دعائه بين الأمور التي يراها **عظيمة**، وتأكد أنها مهمة، وتبيّن له أنها لابدّ أن تكون موجودة ناتج **يقينه** بربه وعلمه.

يريد من ربه أن يوزعه فيجمع عليه كل قواه من أجل أن يشكر نعمة الله، فهذا داعٍ من قلبه، سائلًا ربّه بِصِدْق أن يعطيه كل القوى من أجل أن يصل إلى ذلك، بل فيما يقال في معنى " أَوْزِعْنِي ": قيل "ألهمني وأولعني" أن أشكر نعمتك بحيث لا أنفك عن شكرها.

فالمقصود أن العبد في مثل هذه الأحوال التي يبلغ فيها اليقين مبلغه، يرى لسانه راغبًا إلى ربه، طالبًا أن يكون ممن قد وُفّق في ذلك، فلا يريد فقط أن يكون شاكرًا بل قال :أوزعني، ألهمني، أولعني، اجعل مقصودي وغايتي أن أشكر نعمتك بحيث لا أنفك عن شكرها، فهو يريد أن يكون شاكرًا بعدما **شعر بالنعم**، "نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ" شعر بنعم الله التي لا تحصى،شعر بأعظم النعم وهو الدّين، بل شعر بالنعمة على والديه، هذا تكثيرًا للنعم! فهو يفكّر ويفكّر، فرأى نعمة الله عليه وعلى والديه، فسأل الله عز وجل أن يكون من الشاكرين.

الشاهد من الآية أنّ هذا **فكّر وانشغل بربّه**، فسأل سؤال الصّادقين، فذكر ذِكْر مَن يُريد أن يكون حقًّا من الذاكرين، يعني طلب من ربه وقال :أولعني بشكرك، يعني اجعل شكرك ولعي، غايتي، ألهمني إياه بحيث أن يبقى اللسان دائما شاكر، **فقلبه امتلأ من الإحساس بالنعم، فخاف من هجر لسانه لشكر المنعم.**

---

[11] الأحقاف:١٥

وهذه المسألة نكاد نقول أننا جميعًا تمرّ علينا، فإننا في أحيان كثيرة نكون في حال تفكّر لنعمة أو لذنب، فيطول تفكّرنا ثم يخرج من لساننا استغفر الله، يخرج من لساننا الحمدلله، فإذن لما غفل القلب، لَـهَا اللسان.

ولذلك ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[12]

فإن هذه حقيقة الذكر تفكر القلب الموجب لذكر اللسان.

ملحوظة مهمة : نحن هنا لا نقرّر أبدًا أن ذكر اللسان بدون حضور القلب لا أجر عليه، هذا ليس موضوعنا إنما نتكلم عن حقيقة الذكر، و سيأتينا إن شاء الله في لقاءاتنا القادمة مراتب الذكر وكيف يتعلّى الإنسان فيها.

لكن حقيقة الذاكر هو هذا العبد الذي صدق في معرفة ربه وتيقّن بها، فطالت فكرته وانطلق لسانه، فلا ننتظر أن تنطلق ألسنتنا صادقة وقلوبنا خالية! بل لابد أن نطيل الفكرة فيأتي الذكر في مكانه.

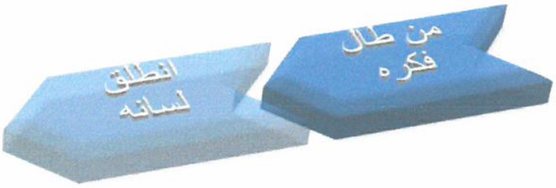

وليُعْلم أن من أعظم مقاصد الحج نفسه ذكر الله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾[13] قال ابن عباس في تفسيره: "الأيام المعلومات الأيام العشر"

وقد ورد في الحديث: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ، وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّحْمِيدِ))[14].

فالمقصود أن الذاكرين حقًّا هم مَن أكثروا من ذكر الله بعد التذكير.

---

[12] الكهف٢٨

[13] الحج:٢٨

[14] رواه أحمد في مسنده وهو حديث صحيح.

وإن شاء الله إذا مدّ الله في العمر وأحيانًا إلى غدًا نتكلم عن مراتب الذكر المشهورة المعروفة ثم نتكلم عن الذكر الذي وردت صفته في العشر:

وسنتكلم في اللقاءات القادمة عن مراتب الذكر المشهورة المعروفة ثم نتكلم عن الذكر التي وردت صفته في العشر:

١. الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

٢. وعن بعضهم: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

٣. وعن بعضهم: الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرةً وأصيلاً.

كيف هذا يأتي من وراء التفكير، علمًا أن هذا التكبير من أخصّ أنواع الذكر في العشر وإن كان كما مر معنا في الحديث أنه الذكر عمومًا، ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ، وَلَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّحْمِيدِ)).

إن شاء الله في لقاء الغد نتكلم عن تفاصيل هذا الأمر.

أسأل الله عز وجل بمنّه وكرمه أن يصلح نيّاتنا وقلوبنا وأفكارنا ويلهمنا رشدنا ويرزقنا حسن الخاتمة وتكون كلمة (لا إله إلا الله) هي آخر كلامنا من الدنيا اللهم آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الذكر والعشر (٢)

أ. أناهيد السميري

يوم الثلاثاء ١ ذو الحجة ١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عزّ وجلّ، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

عناصر اللقاء :

- مقدمة ومراجعة لما سبق
- تفصيل في حال المرتبة الأولى (الذاكر بقلبه ولسانه).
- توضيح لقول ابن القيم أن عقل المؤمن مثل الرحى تدور فتطحن..
- مجالات التفكير التي تؤدي إلى الذكر

١. التفكر في الآيات الكونية

٢. التفكر في الآيات الشرعية

٣. التفكر في الأمثال التي ضُربت في الكتاب والسنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعل مساءنا هذا –مساء أول يوم من أيام العشر– مساء ذكر وزيادة إيمان، ومن أعجب أحوال الخلق أن تجري عليهم الليالي والأيام سريعًا، فها نحن أمس بدأنا لقاءاتنا في أول ساعات من أول ليلة، وها نحن نلتقي بعدها بقليل وتكون آخر ساعاتنا في هذا اليوم العظيم وقد انقضى من فرصة العشر يوم ما ندري ما كان فيه إلا أننا نرجو أن يكون ختامه ذكر فيُختم لنا اليوم عند رب العالمين أننا من الذاكرين.

وقد ذكر ابن رجب في رسالته (المحجة في سير الدلجة) كلامًا لطيفًا يشير فيه إلى أن آخر النهار من كل يوم وقت يفضل على أوله، فأن يختم العبد يومه بذكر الله هذا من فضل الله عز وجل على العبد، فإنه كما أن الذكر في كل وقت عمل فاضل، ولما تأتي الأيام الفاضلة يصبح عمل فاضل في وقت فاضل، ولما يأتي آخر هذا الوقت فيكون الفضل أعظم، وهذا له أدلته وله كلام لأهل العلم لو روجعت رسالة المحجة في سير الدلجة لابن رجب تجدون إن شاء الله ما ينفع في ذلك.

الشاهد أننا نرجو من الله أن نختم أول أيامنا وليالينا هذه المباركة بذكر الله بالاجتماع في هذا الدرس، راجين أن يكون اجتماعنا سبب لرحمة الله، فإن رحمة الله قريب من المحسنين، والله عز وجل يقول ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[1] فقد جعل الله للوصول إلى رحمته أسبابًا، فهي قريبة من المحسنين وهي مكتوبة للمتقين، فنرجو من ربّ العالمين أن يجعل تدارسنا وتعلمنا من الإحسان والتقوى وسببًا للإحسان والتقوى، اللهم آمين.

ونرجو أن نعتاد على ذكره والتفكر في آلائه وعطاياه في هذه الساعة من النهار فنكون ممن داوم على العمل، ومن المعلوم أن ((أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ))[2] فنبذل جهدنا أن تكون هذه الساعة فيها من السداد والاقتصاد والتيسير ما يوصلنا إلى الثبات على الطريق، وكما في الحديث إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة، وفي الرواية الأخرى ((وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ))[3].

فاللهم بلغنا مراضيك.. فاللهم بلغنا مراضيك.. فاللهم بلغنا مراضيك

---

[1] الأعراف: ١٥٦

[2] متفق عليه.

[3] رواه البخاري في صحيحه.

قد كنا بالأمس قد متّعنا الله بساعة من الزمان نتكلم فيها عن ذكره سبحانه وتعالى وكيف أنه من أجل هذا الذكر جعل الله هذه الآيات العظام وهذه العقول التي تنظر إلى هذه الآيات العظام، وجعل هذه الأقدار التي تجري وهذه الأحوال التي تسري والخلق ينظرون إلى آثار كمال الله ولازالوا ينظرون إلى آثار كمال الله، فيخرج منهم الذكر كما يحب الله ويرضا.

والآيات والنصوص الصريحة أو الضمنية كثير في كتاب الله وفي سنة النبي تدل على فضل الذكر، مررنا على شيء منها وإشارات وكان آخر كلامنا شيء مهم جدا وهو ما حقيقة الذكر؟

وسنعود إلى حقيقة الذكر لكن بعد تقرير أمر مهم من أجل أن لا يلتبس علينا موضوع حقيقة الذكر.

- معلوم أن أنواع الذكر له ثلاثة مراتب كما تكلم أهل العلم:

١. يكون بالقلب واللسان وهذا أعلاها
٢. ويكون بالقلب فقط وهذا أقل من الأول.
٣. ويكون باللسان وهذا أقلها جميعًا. ومع ذلك يعتبر مرتبة من مراتب الذكر.

يعني هي أقل أن نذكر بلساننا ولا نجد قلوبنا لكن تعتبر مرتبة من مراتب الذكر.

وفي هذا نتذاكر كلام الإمام الشافعي في قوله: "سيروا إلى الله عرجا ومكاسير، فإنّ انتظار الصحة بطالة".

والمقصد أن لا نتأخّر عن طاعة الله هذه الطاعة لم تأتِ على كمالها ولم تبلغ ما يتصور من حضور القلب ومن زكاء النفس، لكن لا بأس يبقى الإنسان يسير سواء كان صحيح القدمين قد تمّ له السير الصحيح الصريح أو يسير ولو كان فيه عرج.

وكما قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "لا يزال المرء يعاني الطاعة حتى يألفها ويحبها" والله يقول **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}**[٤] فالمقصد أن مراتب الذكر ثلاثة:

المرتبة الأولى التي نرجو من الله أن نكون من أهلها وهي آمالنا ونحن في خير ما دام أننا نأمل هذه الآمال، أن نجمع بين ذكر القلب واللسان. ثم أقل منها ذكر القلب. ثم أقل منها ذكر اللسان.

---

[٤] العنكبوت: ٦٩

وهذه مراتب الذكر من كَمُل له الخير واستمرّ عليه فهذه منزلة يؤتيها الله من يشاء، وإلا نسير إلى الله ونسأل الله أن يغفر لنا التقصير ونسأل الله أن يقبل منا القليل وأن يشكر لنا هذا العمل اليسير وهو الغفور الشكور سبحانه وتعالى.

واتفقنا على أنّ الإنسان يبذل جهده، بقي أن نناقش الدرجة العليا التي نرغب أن نكون من أهلها التي نريد أن نشم رائحتها ونذوق طعمها، فإذا رُزقناها فالله هو الذي تفضّل بها. وإذا لم نُرزقها فنحن باقين على الأمل أن نتعلّم طريقها لنصبح من أهلها بأمر الله.

وهذا الذي نعنيه لحقيقة الذكر، أن الذاكر حقًّا الذي قد جمع قلبه ولسانه ما وصفه ما حاله؟

حال الذاكر بقلبه ولسانه:

أن الذي يذكر بقلبه لابد أن يكون قد سبق هذا الذكر الذي بقلبه وبلسانه **سبقته معرفة،** هذه المعرفة تولّدت من **تفكّر** خصوصًا أننا نعرف أن الذكر إما يكون بذكر أسماء الله عز وجل وصفاته وأفعاله وإما يكون بذكر أوامره ونواهيه.

فالقلب الذاكر قد بدأ بالمعرفة وهذه المعرفة أوجبت له ما بعدها إلى أن وصلنا إلى ذكر اللسان، وربما سبق هذه المعرفة تفكّر، وربما لحق هذه المعرفة تفكر، لكن لابد أن تكون هذه المعرفة محاطة بالتفكّر ليحصل لنا اقتران ذكر القلب باللسان.

ولنفصّل في الأمر لنتصوّر هذه الحقيقة ولنشغل قلوبنا بالله وبذكر أفعاله وآلائه فيخرج منا ذكر حقًّا:

نبتدئ ونقول أن القلب لابد أن يعرف الله ويفكّر في هذه المعرفة تفكيرًا يورثه اليقين بالله، فمثلًا يعرف عن الله أنه حليم يعامل العباد بالحلم فحتى لو عصوه لا يعاجلهم بالعقوبة، ويبقي عليهم نعمه، يسمع عن الله هذا ويتفكّر، أولًا يتفكّر في حاله ثم يتفكّر في حال الناس في الأرض وكيف يكون المرء يعيش في نعمة الله ويكفر بالله!

يعيش وهو يعلم أنه لا يتمكّن أن يأتي بنهار يكون فيه معاشه، ولا يتمكّن أن يأتي بليل فيه سكنه، يعيش الإنسان يعرف هذا جيّدًا، ومع ذلك تراه لا يشكر الله! تراه يسكن الليل ويبصر في النهار لكن لا يشكر الله ولا ترى أن الله قد منع أحد من خلقه هذه النعمة.

{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ}[5] هذه حقيقة الناس! لا هم يستطيعون أن يأتوا بالليل ليسكنوا فيه، ولا بالنهار ليبصروا فيه، {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا}، وهذا الذي أنتم فيه من فضل الله، {إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ} صاحب فضل عظيم، نُكّرت فضل للدلالة على التكثير، ليس هذا فقط فضله إنّما الله هو صاحب الفضل على الناس، ما موقف الناس؟! ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

ترى هذا في نفسك وفي الناس ثم تقول عجيب بقاء النعم! عجيب أن لا تُمنعها! سبحان الله! ما أحلمه على عباده، ما أكرمه، يخرج من اللسان ما تفكّر به القلب وشعر به في عظمة الله، شعر بحلم الله، شعر بمنة الله، شعر بفضل الله، فربما وقف القلب إلى هنا فما نطق اللسان، لكن الكمال أن ينطق اللسان فيقول سبحان الله ما مثله أحد! سبحان الله كيف يتعلق القلب بغيره كما يتعلق به!

أو يقول الحمدلله أنه لم يعاجلنا بالعقوبة، الحمدلله أنه صاحب الفضل على الناس ولا يستطيع الناس أن يمنعوا فضل الله عليهم، فلو استطاعوا الناس منع الهواء كان منعوه عن بعضهم لأحقادهم وحسدهم! فهم بطبعهم إن تمكّنوا آذوا من كان ضعيفًا، ولذا الله عز وجل يقول للخلق: {قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا}[6].

المقصود تتأمّل هذا وتقول لو الخلق يستطيعون أن يؤخّروا النهار أو يؤخّروا الليل لرأيت ذاك صاحب الهوى يطيل النهار وقت ما شاء، يقصّر النهار وقت ما شاء، لكنهم بفضل الله لا يملكون خزائن رحمة الله.

فتبقى تفكّر وتفكّر وتأتي الأمور من جهات متعددة، الحمد لله أنه صاحب الفضل فلا أُذلّ لغيره، الحمدلله أنه هو الذي يحكم لعباده في ليلهم ونهارهم، في معاشهم ومنامهم، الحمدلله الذي جعل الليل سكنًا.

سبحان الله مَن مثل الله يأتي بالشمس ثم يذهب بها! مَن مثل الله يغشي الليل النهار! من مثل الله! سبحان الله!

فتبقى الفكرة وراء الفكرة في القلب تتحرك حتى يخرج من اللسان الذكر الحقيقي الذي نتج عن تفكّر، سواء تفكّر في آلائه وآياته وعظمته وسلطانه وقدرته العامة أو التفكّر في أحوال الإنسان خاصة.

ونودّ اليوم أن نعدّ هذه الأمور التي نتفكّر فيها ومنها نقول أن الذكر الحقيقي سيكون ناتج أن الإنسان يُطلق تفكيره في هذه الأمور، كل مرة يفكر في هذه الأمور سيصل إلى الذكر الحقيقي.

---

[5] غافر: ٦١

[6] الإسراء: ١٠٠

ومن ثمّ يكون عقل هذا الإنسان -كما مثّل ابن القيم- عقله مثل الرحى لابد أن تدور تطحن، فإذا وضعنا فيها مادة تنفع الخلق -يعني وضعنا فيها حبوب تنفع الخلق-، طحنت وأخرجت خيرًا، وإن وُضع فيها تراب أو حصى طحنته، وهذه كلمة شهيرة لابن القيم يقول فيها: وقد خلق الله النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن ولابد لها من شيء تطحنه، فإن وضع فيها حب طحنته وإن وضعت فيها تراب أو حصى طحنته" هذه نفسنا! يعني لا يمكن أن تبقى هذه الرحى معطلة.

يقول: "فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى" الأفكار والخواطر التي تمر بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى ولا تبقي هذه الرحى معطلة، لابد لها من شيء يوضع فيها.

فنتصوّر قلوبنا تفكِّر طوال الوقت طوال الوقت، فإذا وضعنا فيها أفكارًا يعني وضعنا فيها أمور نفكّر فيها ونهتم بها تكون مثل الحب ولذلك يقول: "فمن الناس من تطحن رحاه حبًا يخرج دقيقًا ينفع به نفسه وغيره".

تجد عقله سبحان الله يفكر يفكر فيخرج دقيق، وهذا التشبيه بديع؛ لأن هذا الدقيق تخبزه فتشبع منه لنفسك ولغيرك، تخبزه وتأكله خبزًا، وتأكله فريدًا، وتأكله كذا وكذا، له مائة صورة يدخل فيه، وترى كثير من مأكولات الناس يدخل فيها الدقيق، فنتصوّر فكرة واحدة يفكر فيها الإنسان تخرج دقيقًا تغذّيه وتغذّي غيره وتشبعه وتشبع غيره، وتدخل في هذا وتدخل في هذا.

ثم يقول: "وأكثرهم يطحن رملًا وحصى وتبنًا ونحو ذلك، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبيَّن له حقيقة طحنه".

معناه ممكن الإنسان يبقى يطحن يطحن ولا يشعر بأنه طحن تبنًا أو حصى أو رمل، لكن لما يأتي يبحث هل هو شبعان متغذي؟ يريد أن يعجن يجد الحقيقة، وغالبًا لا زمن للإصلاح إلا من أراد الله به خيرًا فنجاه في وقت يستطيع فيه أن يدخل على رحاه حبًا بعد تنظيفه من القاذورات.

فهذا يجعلنا الآن نقول ما هي هذه الحبوب التي سندخلها في أفكارنا؟ ماذا سنفعل من أجل أن تصفى عقولنا وتكون هذه الرحى فيها من الخير ما فيها؟

∴ أولًا نذكر أنفسنا بآية سورة سبأ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[7]، وهذه الآية فيها إرشاد، فيها وعظ، فيها مدح بهذه الواحدة العظيمة الفريدة التي لو صدقتم في فعلها لاسترشدتم إلى الطريق المستقيم وذكرتم رب العالمين، ودخل الإيمان إلى قلوبكم وعرفتم إلى وجهة تتجهون وأي باب تغلقون وأي باب تفتحون، ما هي هذه الواحدة الفريدة؟!

○ ﴿أَنْ تَقُومُوا﴾ وهنا تقوموا بمعنى تجتهدوا، تقوموا بمعنى تصدقوا، تقوموا بمعنى تبذلوا.

---

[7] سبأ: ٤٦

- {أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ} صادقين لله لا تفاخرون لا تراؤون، لا تتبعون من يغلب، إنما تقوموا لله.
- {مَثْنَى} سواء كنتم مثنى أو كل واحد وحده {وَفُرَادَى}، وإن كنت وحدك صادقًا، نفعك تفكيرك، وإن رُزقت صادق مثلك يريد الخير فتصبحوا لبعضكم كالتلقيح، أفكاركم تتلقح، فتنتج وتكبر وتعظم وتكون في الخير ويكون هذا كله لرحاكم بمثابة من طحن فوضع خميرة في هذا الدقيق فينتفخ وينفع وينضج.
- {ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا} في هذه الأمور.

في سياق آية سبأ تفكروا في حال الرسول صلى الله عليه وسلم، تفكروا في صدقه، تفكروا في كلامه، تفكروا في أوامره، انظروا كل أمر أمركم فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، وانظروا ضده وتأمّلوا هل ما أمر به الرسول خير أو كان أحسن أن لا يأمركم؟!

وابدؤوا بالبعيد عنكم إلى أن تقتربوا بالقريب منكم، ابدؤوا في دين الله من أوله هل لما أمرنا أن نستغيث بربنا القريب منا في كل حال وأن لا نحتاج بيننا وبين ربنا أي أحد أبدا وأننا إذا أردنا أن نسمعه قرأنا القرآن، وإذا أردنا أن نكلمه قمنا فصلينا وسجدنا واقتربنا وناجينا وانكسرنا وتذللنا وبكينا واشتكينا أنفسنا واشتكينا ظالمينا ونفثنا مما في قلوبنا حتى تهدأ نفوسنا.

هذا خير أم أن نخرج من بيوتنا فنذهب لحجارة ونشتكي عندها! ونذهب لمقبورين ونقول –والعياذ بالله– يا سيدي فلان يا سيدي فلان وهو مقبور ميت لا تدري ما هو! كان في دنياه لا ينفع نفسه، ولا تدري صدقهم من كذبهم، أم يذهبون لرجل حيّ فيعطيهم صكوك الغفران! أو يسجدون عند باب ساحر أو كاهن.. إلى آخره!

واليوم ليس سرًا كيف يتبركون بالبقر وكيف يتمسحون في بوذا وكيف يرحلون إلى جبال التبت ليقفوا عند فلان وعلان!! ليس سرًا والناس يرون الصور فتتقزز نفوس الموحدين وتذكر الله غضب عنها الحمدلله رب العالمين، الحمدلله الذي شرفنا بالتوحيد، الحمدلله الذي لم يجعلنا أن نسجد لغيره أبدا!

- يا لله لما ترى أحد يسجد لبشر!
- يالله لما ترى أحد يسجد لحجر! كم في ذلك من هضم للإنسانية ولعقول من يقول أنه يتفكر أو يفكر!

الشاهد أن قوموا لله مثنى وفرادى وهاتوا ما عندكم من معلومات عن النبي المصطفى وانظروا ما أمركم وابدؤوا بالتوحيد رأس كل شيء وفكروا كم من رحمة الله أننا في الأرض عباد لنا إله واحد، إذا اشتكت قلوبنا اشتكينا له، إذا اشتكت أبدننا اشتكينا له، طبيبنا يطبب أبداننا وقلوبنا.

نناديه تنام العيون وهذا المريض لا ينام فينادي الشافي أن يسكّن ألمه، وينادي وينادي فما يخذله!

ويقال له كل الذي شعرت به من ألم يغسلك حتى تذهب خطاياك، لا تقلق، فيطمئن.

تتضيق عليه الأموال يقول يارب فيفرجها، تضيق عليه الأنفس فيقول يارب فتقبل، يضيق عليه الحال مع أي شيء كان فيسبق قلبه لسانه بالفزع فلا يجد إلا الفرج، وإن تأخر علم أنه يسمعه وسيعطيه في الوقت المناسب.

فكم لله على خلقه من نعم لما أرسل هذا الرسول الكريم وجعل رسالته التوحيد.

تأمّل وفكّر فيما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم من أمر يتصل بالشرع كله بدون استثناء، وكن منصفًا، فلا عقل منصف خارج عن الهوى يقبل صورة سكران يترنّح أو يتكلم أو يقيء أو يكشف عورته! لا عقل يقبل هذا إن خلا من الهوى، لذلك {أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى}.

ما أحسن ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، من خلا من الهوى ومن العشق ومن الغرام وكل الأمور الساقطة التي يثيرها الإعلان لا يمكن في لحظة أن الزنا شرع يُقبل، بل يعلم أن العفة هي التي تُقبل، وأن طرقها كلها التي أتت بها الشريعة في مكانها.

وهكذا إلى أن تصل إلى الشيء القريب منك، حتى لو كانوا أهلك لا ينفذوه، حتى لو كان حالك لا يوجد فيه.

مثلا كم نبغض أن ندخل على مجلس ونجد أن الناس يتكلمون عنا، يذمونا، فما أحسن هذه الشريعة التي حرّمت الغيبة!

ما أقسى أن تكوني أنت وخاصتك، أنت وزوجك، أنت وبناتك وأبنائك.. تتسارّون في أمر خطير في مشكلة تودون سترها، تمرون بها، تخافون أن تفضحون، ما أقسى أن تخرجي من ذلك فتري من يتجسس عليك! والشريعة حرمت هذا، فتفكري في هذا وتقولي سبحان الله ما ألطف الله بنا!

بل أعظم من ذلك تجدي كل أبواب البيع وأحكامها بالتفصيل لمن تأمل فيها تدور حول أمر واحد (أنت وإخوانك، لا تفسد العلاقة معهم، لا تناجشوا، لا يبع بعضكم على بيع بعض، لا يستقبل الحاضر البادي في البيع حتى ينزل السوق حتى لا يغشوا البادي الذي لا يعرف..) إلى أن تصل إلى (لا تخطب على خطبة أخيك!) فكر فكر، سبحان الله، كيف لو خطب على خطبة أخيه ماذا يكون؟ يكون كذا وكذا، وهنا موقف يشهد وهنا موقف يشهد..

سبحان الله كيف (الحمو الموت)! ما أعظمك يا ربنا ما أحلمك ما أعلمك يا ربنا، ما أحكمك يا ربنا سبحانك وبحمدك، وهكذا وهكذا يبقى العقل يفكر (هذا قلبك) {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا}[8] يفكر يفكر ومادة تفكيره الشرع، هذا الذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، فيخرج من اللسان ذكر الرحمن، ويبقى تمر عليه المواقف أو تمر عليه الأحكام أو يستجلبها هنا أو يأتي من هنا أو

[8] الأعراف: ١٧٩

يأتي من هنا، إلى أن يصل إلى كل شيء يمارس أو لا يمارس، موجود أو مفقود فيقول ما شُرع هباء، ما أُمرنا به ظلمًا، ما مُنعنا عن ذلك وهو ينفع! إلا أن أهواء الناس التي يثيرها الشيطان!

ولذا لا يصلح في مثل هذا أن يأتي شخص صاحب هوى ويقول أنا سأتفكّر، لا لابد أن تقوم وأنت صادق لله، مثنى وفرادى، وتفكّر مع مَن هو أعلم منك مثلًا في مسألة معينة.

يأتي أحد يقول لك لو تعلم كيف في مسألة الحضانة الشريعة تجعل مصلحة الطفل فوق كل مصلحة، تعرف أن ما يقولونه من حقوق الطفل إنما هي كذبة كبيرة! ولما تسمع كيف هي تفاصيل الحكم الشرعي في الطلاق، تعرف كيف هذه الأحكام نزلت من عند الرحمن، تشهد على أن هذا الدين حق وأن الذي أنزله رب العالمين الذي خلق هذا الإنسان ويعلم ما في نفسه.

فالمقصود أن هذا من الحَبّ الذي يُلقى في الرحى فينتج دقيقًا يُشبع العبد لما يأتي العجن يكون سهلًا يسيرًا، فإذا تلاقحت مع غيرك وفكرت وفكرت وأتيت لهؤلاء المتخصصين ولهؤلاء والذين يفهمون في الأموال وهؤلاء يفهمون في الأحكام القضائية وهؤلاء يفهمون في الطب، وترى هؤلاء يشهدون وهؤلاء يشهدون وهؤلاء يشهدون فيزيد ذكرك لرب العالمين، تزيد طمأنينتك له، يزيد يقينك به، ما أعظمك ما أرحمك ما أكرمك!

ويبقى قلب الإنسان أول ما يسمع في أزمة أن هذا حكم الله أن هذا أمر الله يقول آمنت وسلّمت! إذا الله قضى وهو أحكم الحاكمين وهو أرحم الراحمين وهو رب العالمين كيف لا أرضى بحكمه؟!

يُذكر الله فيطمئن قلب هذا العبد الذي قلبه قد طحن وفكّر وتأمّل ورأى، إن وُجد وإن لم يوجد، إذا لم يكن هذا الشرع ماذا يكون! لو كان هذا ماذا سيكون! لو لم يكن الحمو الموت ماذا سيكون؟! كم ستختلط أنساب! كم سيكون هناك مقارنات! كم سيحصل بينهم وبين هذه العوائل من تشابكات!

ولا تقل طاهرين فإنّ الله عزّ وجلّ أعلم بما في نفوس الخلق، وأعلم بعدوهم الذي يؤزّهم أزًّا، ثم أن الوقائع كلها تشهد بذلك!

فالمقصود أننا سنفكّر كما يفكّر أولو الألباب، يتفكّرون في خلق السماوات والأرض ماذا يقولون؟ **{رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}**[٩].

- ✓ اتفقنا أننا سنفكر في الآيات الكونية التي تحيطنا ومنها سنجد أنفسنا قد استمتعنا بمعرفة الله وباليقين فيه.

---

[٩] آل عمران: ١٩١

- ✓ واليوم نفكر بما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتبيَّن لنا أنّه رسول كريم من ربّ العالمين، وأنّ الله قد امتنّ به علينا، وأنّ كل شرع شرعه لنا جاء من عند ربنا الحكيم العليم الرحيم، فنعلم أنه نذير بين يدي عذاب شديد، فتستعدّ القلوب وتذكّر لقاء ربّ العالمين، وتفهم النذارة، وتطلب البشارة، وتدفع الشرّ وأهله، وتقرّب الخير وأهله، فهذا تفكير في الشرع كما كنا أمس نقول تفكير في الخلق.

فهذه حبوب لابد منها، ولا يغيب عن الذاكر ذكرها، كلما ازداد لها ذكرًا، كلما زاد بها انتفاعًا، كلما زادته هو ذكرًا وزادت بركته، فإنّ هذا الذي يفهم بعمق ويفكّر ويفكّر من عجائبه أنه لا يستطيع إلا أن يقول فكرته مع خاصّته أو من يجالسهم، فهو يفكّر فُرادى وتراه مثنى مع مَن يجالسه يذكر له ويساعده على التفكير، فتظهر بركته ويبقى من حوله مسبّحين مكبّرين معظّمين لربّ العالمين، فيكون هنا التفكّر أتى بذكره هو –هو يذكر الله– وأيضًا يرشد الخلق لذكر الله.

فنرجو من الله أن نكون مِن هؤلاء الذين نفعتهم قلوبهم فتفكّروا فيما يجعل ألسنتهم تنطلق بذكره سبحانه وتعالى.

- ✓ إن شاء الله سيكون كلامنا غدًا عن مجال ثالث من مجالات التفكير تؤدي إلى الذكر (عن التفكير فيما ضرب الله من أمثلة في القرآن) فإنها تُرينا صور عجيبة هذه التي ضُربت لنا، هذه الصور تجعلنا دائمي التفكير فيما نراه.

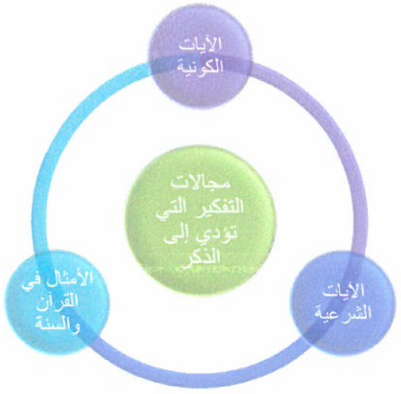

من ذلك ما ضرب الله عز وجل مثلًا في سورة البقرة في قوله تعالى: **{أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ}**[١٠].

- **{أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ}** هذا وصف حديقته
- **{وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ}** وأصاب صاحبها الكبر، وليس هو فقط المنتفع بها

[١٠] البقرة: ٢٦٦

- {وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ} صفتهم أنهم {ضُعَفَاءُ}، فأصابت هذه الحديقة التي من نخيل وأعناب وتجري من تحتها الأنهار
- {فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ} كانت النتيجة أنها احترقت.

فكر جيدًا في هذه الصورة، فكر في صورة جنة بستان لم يصبح بهذه الحالة إلا بعدما بذل فيه عمره وهو يتأمّل أن ينفعه ثم في ليلة يأتي إعصار فيه نار فيذهب! ولو قدر أن أحد يموت حزنًا كان هو مات من أن يصبح فيرى رأس ماله وجهده وبذله قد ذهب!

وليت الأمر يقف هنا إنما ذريته الضعفاء لا يستطيعون لا حرثًا ولا قطفًا ولا حصدًا ولا يستطيعون معاونته! فكانت النتيجة أنه ستبقى الأرض على حالها وهو سيكون في أردى حال تُتصوّر بعدما كان عنده ما يغنيه.

تصوّر هذه الآلام تصوّر هذه الأحزان تصوّر هذه الجهود المهدرة وتصوّر كيف أنّ العبد يمكن أن يبذل الجهد فيزرع له بستانًا من الطاعات والحسنات والأمور المقرّبات ثم يحرقه بالمنّ والأذى! فيكون في حاله كحال هذا الذي فقد مزرعته في وقت أشدّ ما يكون بحاجة إليه، فإنّ مَن أنفق خالصًا لوجه الله ثم بعد إنفاقه خالصًا فسدت نيّته فأتبع ما أنفق منّ وأذى، كانت هذه حالته.

فالمقصود أنّ الله عز وجل أرانا من صور الآلام النفسية التي يكرهها الإنسان ولا يحب أن يكون فيها، أمور كثيرة في القرآن واضحة، وأرانا من الصور المبهجة النفسية صورًا واضحة، ثم فكِّر فيها وفكِّر فيما وراءها، وانظر بعد ذلك للحياة بنفس القواعد التي تستفيدها من هذا فتكون قد ذكرت.

وسيأتينا إن شاء الله كيف يأتي وراء هذا ذكر الله وبقاء القلب متيقّظ واللسان ذاكر. نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من هؤلاء..

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الذكر والعشر (٣)

أ. أناهيد السميري

يوم الأربعاء ٢ ذوالحجة ١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عزّ وجلّ، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

عناصر اللقاء :

- مقدمة ومراجعة لما سبق.
- ذكر بعض الأحاديث في فضل العشر.
- التفصيل في المجال الثالث من مجالات التفكر وهي الأمثال:

1. مثل آية سورة يونس للحياة الدنيا
2. مثل آية سورة النور لأصحاب الأعمال التي تذهب هباءً بعدما بذلوا فيها واجتهدوا (مثلين)
3. مثل آية سورة الحج في وصف المشرك.
4. مثل آية سورة العنكبوت في وصف المشرك.
5. مثل النبي صلى الله عليه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله تعالى أن نكون من الذاكرين الشاكرين المغتنمين لأعمارهم الشريفة، المستثمرين لرأس مالهم وهو وقتهم، ولما حباهم الله به من فضل بالإيمان وبصحة الاعتقاد وبأسبابٍ جُمعت لنا من فضله تعالى، ومن أهمها هذا اليُسْر في طلب العلم الذي بفضل الله عز وجل قد نشر الحق وأزهق الباطل، أسأل الله عز وجل أن نكون ممن اغتنم هذه الفرص واستفاد منها وأصلح قلبه ولسانه وجوارحه، اللهم آمين.

كنّا بفضل الله نتحدّث في أمْر عظيم وهو أمْر الذكر وهذه العشر الفاضلة التي يحبّ الله عزّ وجلّ العمل الصالح فيها، هذه العشر التي امتنّ الله بها على خلقه، هذه العشر التي أقسم الله عزّ وجلّ بها كما ذكر أهل العلم في تفسير سورة الفجر لما أقسم سبحانه وتعالى: {وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}، قالوا (وليال عشر) هذه عشرة ذي الحجة، كما قالوا أنها العشر الأواخر من رمضان، وإن كان القول الأقوى كما قال ابن عباس أنها العشر من ذي الحجة، كونها تميّزت عن بقية الأيام وبقية الشهور.

أقسم الله بها هنا وأيضًا قال أهل العلم أن قوله تعالى في سورة البروج: {وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ}، قالوا المشهود هو يوم عرفة، فهذه إشارة أخرى إلى القسم بها أو بيومٍ منها كيوم عرفة.

هذه العشر بنفسها فضل، الخلق مُنّ عليهم بها، أحبها الله واختارها أن تكون الأعمال محبوبة فيها له، وكانت أهم الأعمال في هذه العشر كما تبيَّن لنا الذكر.

وكنا قد عرجنا على مفهوم عام للذكر وأشرنا أن الذكر يكون باللسان والقلب معًا وهذا أعلى المراتب، ويكون بالقلب فقط ويكون باللسان فقط.

وكل هذه مراتب لما يزيد العبد إيمانًا وتزيد بركته، يجد من فضل الله والله ذو فضل على الناس، فيجد من فضل الله أنه يستطيع أن يتعلّى من ذكر لسانه إلى ذكر قلبه ولسانه، لكن ما الطريق؟!

اتّفقنا أن الطريق إلى وصول الإنسان أن يكون قلبه ولسانه معًا أن تكون البداية من القلب، وأن يبدأ القلب بعبادة الرب بعبادة التفكر.

اتفقنا أن أول شيء نبدأ نتفكّر فيه: نتفكّر في خلق السماوات والأرض، ونتفكّر في الآيات الكونية التي هي حولنا، ونذكّر نفسنا ما صفة أولي الألباب؟

يتفكّرون في خلق السماوات والأرض، هذا التفكّر عمل قلبهم، يتوقف هنا التفكّر؟ لا، مباشرة يتفكّرون في خلق السماوات والأرض ثم هذا يُخرج قول اللسان: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، فهذا ذكر الله باللسان تسبيحه تقرير كماله {مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ}، ثم الطلب {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}.

ثم اتفقنا أنه أيضًا من أنواع التفكّر التي يُطلب منا التفكّر فيها ما مرّ معنا في آية سورة سبأ: {قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى} وفهمنا ما معنى تقوموا وكيف أنها فيها جهد ومثنى وفرادى كيف نفكّر وحدنا ونفكّر مع أحد صحيح التفكير يساعدنا على التفكير؛ لأن الناس في الحقيقة يختلفون عن بعضهم في طريقة تفكيرهم في الأشياء ونظرهم لها وحكمهم عليها.

ولذا لا تجالس من أغفلنا قلبه عن ذكرنا! بمعنى أن هذا قلبه لا يتفكّر، لا يذكر ربه، أغفلنا قلبه عن ذكرنا، فهو ليس ممن يذكر ربه بقلبه، فلا تراه يتفكّر لا في خلق السماوات والأرض ولا يتفكّر في الشرع الذي جاء به الله، فلا تراه ذاكرًا لا من مصدر نظره للكون والآيات حوله ولا من مصدر نظره للشرع التي أحكامه تحيطه.

لو كان يتفكّر كان نظر مثلًا لهذه المناسبات العظيمة مثل مناسبة عشر ذي الحجة، ونظر لها ورأى بركة الله ورحمة الله، كيف أن الله يجعل لعباده هؤلاء مواسم ونفحات تضاعف فيها الحسنات وتزداد فيها الدرجات ويستدرك العبد بها ما فات، وحتى لو قصّر في الزمن يأتي زمن آخر يفتح له الباب، يأتي شهر رمضان ثلاثين يوم، تأتي عشرة ذي الحجة عشرة أيام، كلها يقال استدرك ما فات، السعيد من تنبّه واستفاد، والشقي من غفل وضيع نفسه.

الذي ينظر للشريعة بهذه الطريقة ويرى أن فرص المغفرة كثيرة، يعني ذنوب الإنسان وتقصيره شيء عظيم لكن أمامها يذهلنا في الشريعة كم هناك أبواب لهذه المغفرة! ينظر مثلا لهذه العشرة كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم يخبر عن ربنا ((مَا مِنْ أَيَّامٍ، الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ، مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ))[1]، فيجتهد فيها وهي كلها عشر.

في صحيح الترهيب والترغيب ((مَا مِنْ عَمَلٍ أَزْكَى عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ فِي عَشْرِ الْأَضْحَى))[2].

---

[1] رواه ابن ماجه وأبو داود في السنن، وصححه الألباني.

[2] سنن الدارمي، إسناده صحيح.

فهذه كلها إشارات إلى سماحة هذا الشرع، إلى الفرص المتكررة، إلى أنك تضعف في الحياة لكن هناك فرص تأتي..

الذي يفكر بهذه الطريقة -ليس فقط تفكير في الاغتنام وإن كان التفكير في الاغتنام شيء مهم أن أخطط كيف أغتنم ولا أضيع الوقت وألزم نفسي في الطاعة- لكن أيضًا أفكر في رحمة الله بالشرع، كيف بركة الله على الخلق، كيف يجعل عشرة أيام مباركة، عشرة أيام تضاعف فيها الحسنات وفيها فرص كثيرة للعباد، عشرة أيام العبادات تجتمع فيها ولا تجتمع في غيرها، يعني تعتبر أيام الكمال هذه، الصلوات فيها كغيرها، الصدقة بابها مفتوح لمن أراد التطوع، ولمن كان حاجًا الهدي ولمن كان غير حاج الأضحية، الحج فيها إلى بيت الله، الذكر والتلبية والدعاء والتكبير الذي يدل على التوحيد، الصيام كقربة فيها، فهذه بركة من الله.

الذي يفكّر في الشرع يرى كيف أنّ الله عز وجل فتح هذا الباب للخلق، يرى يوم عرفة يوم مغفرة الذنوب، تجاوز وعتق من النار، مباهاة لأهل الموقف، كيف أن هذا اليوم صيامه سبب لمغفرة، يعني الذي في الحج يكون عتقًا له من النار والذي في الديار يصوم فيُغفر له الذنوب.

يوم النحر في هذه الأيام قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم ((أَفْضَلُ الْأَيَّامِ عند الله يوم النحر ويوم القر))[٣].

فالمقصود أنّ الناظر إلى الشرع يرى رحمة الله، يرى كيف الفرص تتكرر على الخلق، فهذا موسم يفتح للمتنافسين وللمذنبين أن يستبقوا الخيرات لرب العالمين، والأبواب فيه مشرعة قراءة القرآن الصلاة الذكر الصدقة، الذي يتيسر لك.

ومن أعجب شيء في هذه العشر أنّ أعظم الأعمال فيها هو الذكر؛ إشارة إلى أنّ الأمر يسير كل الخلق يستطيعونه فلتفعل ولا تتكاسل.

شاهِدنا هنا أننا لما نتفكّر في هذا نرى كيف الله عز وجل أنعم علينا وجعل هناك مواسم في هذا الشرع، يعني شرع بنفسه نعمة، فاقديه الذين لا يعرفونه في نقمة من شأنهم، فالحمد لله رب العالمين، لابد أن يخرج بعد التفكّر في هذه النعمة الحمد لله.

الحمد لله أننا من أهل الإسلام، الحمد لله أننا من أهل السنة والجماعة، الحمد لله أن شرح الصدور باغتنام هذه الأيام، الحمد لله أننا نعلم ما دُرس هذا الأمر ونُسي، الحمد لله أننا في وعي بفضل هذه الأيام؛ لأنه عن قريب الناس لم يكونوا

---

[٣] صحيح ابن حبان

واعين، والحمد لله والحمد لله وتتفكر وتقول الحمد لله، فيكون خرج من لسانك ما هو مستقر في وجدانك من التفكّر فيكون هذا ذكر، هذا حقيقة الذكر.

عبد قضى زمنًا بقلبه يطوف في شرع الله وكل موقف يجر له تفكير في شرع الله،

يجعله يسبح الله يكبر الله يعظم الله يحمد الله، فإذا فكر في الكون كان التسبيح والتكبير والتعظيم، وإذا فكر في الشرع كان هذا مثله.

النظر للأمثال التي ضربها الله في القرآن والتفكر مليًا فيها وتصورها كما ينبغي ثم يحصل وراءها ذكر الله.

∴ مثاله: ما ضربه الله مثلًا في سورة يونس للحياة الدنيا: **{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**.

وهذا المثل العظيم مثل الحياة الدنيا الذي ضُرب في يونس ومثله ضُرب في الكهف ومثله ضُرب في سورة الحديد من أكثر الأمثال التي يأتي وراءها ذكر الله.

هناك اختلاف بين الثلاثة أمثال كلها تدور حول ضرب مثل للحياة الدنيا بالنبات لكنها تختلف في التفاصيل ومن ثمّ تختلف في الدلالات، مقصدنا ليس النظر لها بالتفصيل إنما مقصدنا كيف يوصل هذا التفكير إلى ذكر الله؟ الجواب نعم يوصل إلى ذكر الله بطريقة واضحة، فإن الناظر حوله يرى في الدنيا كيف أن الماء ينزل من السماء ويختلط بنبات الأرض بمعنى يختلط الماء بالتراب ومن ثمّ ينبت النبات وترى كيف يصبح بهيجًا، ثم يحصل المعلوم الذي يعرفه الناس كلهم أن هذه الأرض تأخذ زخرفها وتتزين والناس كلهم يظنون أنهم قادرين على أن يأخذوا ما يريدون منها.

فهذه بهجتهم وهم منكبّين عليها ويحسبون أنها دائمة وينكرون أن يكون لها انقضاء، ينكرون بمعنى أن نفوسهم لا تفكر أبدًا أن هذا سينقضي سريعًا وبصورة مفاجئة، ولا يتصور الإنسان هذا المكان الذي هو ربيع أن يصبح لا شيء!

فكأنه يقال هي سريعة في التقضي، يزول نعيمها بعد أن كانت مبهجة ونضرة -هذه الأرض التي تراها- والإنسان لما يراها هكذا مبهجة جدًا ثم تزول سواء تزول بشيء يصيبها أو تزول نتيجة الفصول.

إما يأتيها أمر الله ليلًا أو نهارًا في أي وقت تزول نضارتها وتذهب زينتها، فيجعلها الله حصيدا تستأصل، لا قيمة لها، أو تتغير الفصول فيصبح ذاك الأخضر أصفر ويذبل، وهذا معلوم الناس يرونه بأعينهم، إلى أن تصل كأنها لم تغن بالأمس يعني لم تُعمّر بالزرع، كأنها ليست مأهولة.

من يرى مثل هذا يتفكّر، هذا منظر متكرّر عند كثير من الناس في بلدانهم، أو عند الزُّرّاع في زرعهم، أو حتى هذا المنظر يمكن أن يراه الناس اليوم عن طريق الوسائل كيف تكون هذه الأشياء خضراء أو تأتي عليها صواعق أو يحصل ويحصل وتذهب خضرتها..

فالشاهد أن الذي ينظر لهذا ويتفكر فيه يقول سبحان الله هكذا كل شيء في الدنيا تتمتع به مدة قصيرة ويصير إلى الزوال! سواء يصير إلى الزوال مفاجأة أو يذهب طعمه، لا يمكن أن تدوم بهجة الحياة الدنيا، والذي ينكب على الدنيا يظن أن بيته هذا الذي أنّقه وملبسه هذا الذي رتّبه سيبقى له أو يبقى طعمه، يكون قد أخطأ!

فإنها تنقضي وتنقضي بسرعة وتنقضي بشكلٍ مفاجئ، إما تصبح الأشياء ليس لها طعم، بمرض بسيط يصيبك تصبح الأشياء الجميلة ليست بجميلة، أو حتى بكدر وغم لا تعرف له سبب تذهب جمال هذه الأشياء، وحتى لو بقيت هي بعينها.

المقصود أن من تأمّل هذا الزرع عرف الحقيقة فكبّر الله وعظّمه وعلم لماذا هذه الدنيا عطاؤها لأحد ليس دليل رضا الله؛ لأنها لا تسوى عند الله جناح بعوضة؛ لأنها مجرد صورة.

وربما نقرب هذا الأمر في عقولنا بما يحصل اليوم في وسائل التواصل الاجتماعي، كثير من وسائل التواصل الاجتماعي فيها هذه الرسوم المعبرة كما يقولون، وأنت تحادثين زميلتك وأردت أن تعبّري عن سعادتك فترسلي لها باقة من الورد صورة ترسليها من هذا الذي تحادثي به هل هذه الصورة تعني شيئًا؟! الجواب لا، لماذا أرسلتيها تعبري بها؟! ولماذا كان ردها أنها تبسمت أو سعدت أو انشرح خاطرها؟! هذه مجرد صورة!

يعني باقة الورد التي أرسلتيها لا رائحة تحمل ولا ملمس يُلمس ولا أي شيء! حقيقة ولا أي شيء! لكن مع ذلك ابتسمت أمامها، غالبنا يفعل هذا الشيء أن يبتسم، المرسل يحرص أن يرسل والمرسل إليه يبتسم، ما هذا؟! هذه هي صورة الدنيا لا شيء على الحقيقة.

لأننا لما نرسل لهم مثلًا ورد حقيقي وإن شموه وتمتعوا به ولمسوه، لكنها مجرد صورة تذهب بعد قليل لا قيمة لها.

لو أكرمتيه ما أكرمتيه سيموت فتلقيه، ومثله هذه الصورة التي أرسلتيها مع الفارق لكن هذا الفارق ليس كبيرًا في الحقيقة لأن في النهاية كل شيء يزول بسرعة.

فإذا نظرت إلى صورة الزرع في الحقيقة وفكرت جيدًا كيف تتحول – نقرب المسألة – جاءتك باقة ورد بهيجة مثل هذا الزرع البهيج، بهيجة جميلة سعدت بها وظننت أنها تبقى واستبعدت موتها السريع وكلما دخلت تسعد ناظريك بها إلى آخره ثم ماتت بسرعة فجأة، ماتت ولابد أن تتخلص منها! سبحان الله هكذا الدنيا!

الله أكبر! كل شيء زائل وهو باقي سبحانه وتعالى! الله أكبر، هنا في الدنيا كما أخبرنا الله ليس هناك شيء يبقى، الله عز وجل يقول لنا: **{وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ}**[٤]، يدعوك إلى الدار السالمة من هذه الصفات من الزوال ومن أن تتعلق بشيء ثم تفقده، سالمة.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

فتتفكر فيأتي ذكرك أنّ الله أكبر من هذا الذي أنا أعتني به، الله أكبر من هذا الذي أتأمّله في الدنيا، ما عند الله أكبر من هذا الذي أرجوه وأطمع فيه، **{وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ}**.

∴ مثله أيضًا لما نقرأ آيات سورة النور ويواجهنا المثل الذي ضُرب لأصحاب الأعمال التي تذهب هباءً بعدما بذلوا فيها واجتهدوا، وسائرين ومجتهدين ثم لا تكون! كما ضرب الله عز وجل مثل: **{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا}**[٥].

إذن فكّر مليًّا في نفس المثل وعيشه، من أجل أن تستطيع في الحياة بصورة مقاربة للمثل بعد التفكير وتذكر الله، تصور السراب هذه ظاهرة معروفة يمشي الناس فيها ويُخدعوا ويظنونه ماء، وقليل الخبرة أو الصغير يشير على أن هذا ماء وممكن أن يسير في تفكيره أنه سيجد ماء ويكون في الحقيقة سراب، فتصور حال هذا الذي يسير وهو عطشان بل امتلأ من الظمأ يريد أن يشرب يصل إليه فيجده ليس ماء!

هذه نفسها الصورة التي نعيشها طوال الوقت في الحياة، سبحان الله، تنظر إلى الناس في كل مكان وتراهم يختلفون في سيرهم وراء السراب، ترى حولك ناس تجري وراء الدنيا تجري وراء محبوب تحبه ويحبها وأنت تقولين ترا هذا سراب!

---

[٤] يونس: ٢٥

[٥] النور: ٣٩

سيأتي يوم وينطفئ هذا الحب فيه! فاعتدل ولا تنسى ربك ولا تنسى عبادة الله ولا تنسى أن تطلب الله أن يحفظ عليك قلبك وأن يمتعك مثلا بزوجك أو بمالك.. وهي تجري وراء السراب وتنتهي القصة أن ترى أنه سراب!

فتقول سبحان الله آمنت بالله، الله أكبر من كل ملذات الدنيا، حبّه والقرب منه غاية مشتهى من عرف الحقيقة، فتبقى تسبّح الله سبحان الله كم من صور واضحة في القرآن تتكرر أمامنا، أنتم تمشون وراء السراب وهذه الأموال مهما جمعتها وخزنتها لن تأتي لك بالسعادة، هذا يقضي وقته في إبراز نفسه أو في صنعها أمام الناس، إنك تسير وراء السراب، هؤلاء الناس من يظهرون لك المحبة وتتنافس في رضاهم، غدا لا شيء! سبحان الله وتأتي الأخبار وتعرف أنهم لا شيء!

فلما تفكّر في السراب وترى الوقائع وتفكر كيف هؤلاء الناس حولي حصل لهم، وكيف مرات كثيرة سرت وراء السراب كيف صدقت أن غير الله ممكن أن يكون شافيًا! كيف استسلمت أن يكون أحد سبب لشرح صدري من الخلق والله هو الذي يشرح الصدور! مشيت وراء السراب وكان المفروض أن لا أمشي وراء السراب، سبحان الله أدّبني الله علّمني الله الحمد لله.

وهكذا تتصور حقيقة الدنيا، تتصور حقيقة أحوال الناس، حالك.

∴ ومثلها أيضًا المثل الذي أتى بعدها ذاك العبد الذي كأنه في قاع المحيط : {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ}[6] .

أنه في قاع المحيط فوقه أمواج وفوقه سحاب فهذا لا يدخل إليه النور أبدا، فأنت ترى في امور نفسك أو الناس حولك كأنهم في ظلمة تامة لا يرون، فتتأمل فيهم تقول سبحان الله كيف لما يعمى العبد، سبحان الله كيف لما يفقد بصيرته! لا يعلمنا إلا الله، يارب بصرنا، يارب نسألك البصيرة، تفكّر في نفسك وتفكر في غيرك وتفكر في الصورة التي وُصفت في القرآن، فتلهج بذكره ودعائه وسؤاله.

∴ تمر في خاطرك آية الرعد وكيف أن قلوب الخلق مثل الأودية ينزل عليها الماء ينزل عليها العلم { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا}[7]

ينزل عليها العلم ليست كلها تحتمل كل العلم، إنما كل واد يحمل من الماء ما يستطيع، مثل كل قلب يحمل من العلم ما يستطيع، ولذلك لا تستعجل، تكونوا كلكم في مجلس واحد تسمعون كلكم، أبعاد الفهم محدودة عند هذا أوسع عند هذا أقل، سبحان الله كالأودية!

---

[6] النور: ٤٠

[7] الرعد: ١٧

ثم تأتي لأحد كان أمس معك واديه كأنه ضيق ثم يزداد في الطلب ويزداد في الطلب فيتوسع قلبه ويتوسع واديه، كأن هذه عوامل التعرية، كالماء لما يبقى في الأودية يأكل جدرانها، كالعلم لما يبقى في القلب فيوسعه، فلما تلقاه بعد زمن تقول سبحان الله كيف العلم يفتح العقل، يفتح القلب، سبحان الله! الحمد لله أن جعل أوديتنا مليئة بالماء الصاف لأن {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ} فيبقى يفكر الإنسان ماذا في قلبي ماذا في واديي؟! علم عن الله الحمد لله، علم عن أسمائه وصفاته الحمد لله، نسأل الله أن يكون صادق هذا العلم الموجود في القلب.

فتبقى هذه الأمثال المضروبة في القرآن سبب للتفكير.

∴ مثله تسمع المثل الذي ضُرب في سورة الحج كيف وُصف المشرك {حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ}[٨].

أي قوة هذه التي سيخر بها؟! كيف كان محفوظ في السماء بالتوحيد؟ وكيف يخر من السماء يسقط!

وأنت ترى حولك أحوال مثل هذه كانوا مستقيمين كانوا عابدين كانوا أئمة مساجد ثم دخلوا في علوم الطاقة ودخلوا في أودية الهلاك المعاصرة، بدأ يقول كلام لا يمكن أن يكون كلام الموحدين، بدأ أن يتكلم عن حب الله بصورة لا يمكن أن تكون من المؤمنين المتقين، بدأ يتحدث كأنه من أهل وحدة الوجود! ما كأنه مثل الموحدين الذي يسجدون لربهم في السماء! فمن أين؟!

الله أكبر كان محفوظًا في السماء فخرّ، خرّ أين ذهب؟ كما وصفت الآية: {فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} اتجه بكلّيّته إلى هذا الواد السحيق البعيد تمامًا عن ما كان محفوظًا فيه، والثاني تراه قد مزعته الأهواء، فتقول سبحان الله الحمد لله احفظنا يا الله بالتوحيد، الحمد لله، ثبتنا يارب، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فيذكر اللسان ما دار في الوجدان وما فكر فيه.

∴ أو يأتي مثلًا يفكّر في مثل سورة العنكبوت وكيف أن الله ضرب مثل لمن احتمى بغيره، بمن سكن بيتًا يشبه بيت العنكبوت، وهل يُغني بيت العنكبوت عن أهله شيء؟! كل الناس يعلمون أنه لا يغني عن أهله شيء، فإنه بيت هش كما هو معلوم، من احتمى بغير الله كالمحتمي ببيت العنكبوت، ونفكر في أنفسنا كيف في هذا الشأن نظرنا أن فلان يحمينا وفلان يدفع عنا وفلان يأتي لنا بالمصلحة وكل هؤلاء كانوا بيوت العنكبوت!

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله، أكبر الله أكبر ولله الحمد.

---

[٨] الحج: ٣١

كلهم بيوت العنكبوت! كلهم لا يغنون ولا يسمنون من جوع! كلهم إن أتت أبسط الرياح قذفت بهم فكيف بمن احتمى بهم؟!

وتفكر كم من المرات حصل أن استجبت ودخلت في جوار الخلق وأعطاني الله! فتتأمل في لطفه وفي رحمته وفي منّه وفي ستره وفي عدم معاجلته بالعقوبة لخلقه، لكن الحقيقة أنك لابد أن تكون في جوار الله، تستجير بالله، تبقى بين يدي الله، لا تفكر إلا أن الله يسخر لك الأسباب فتقول سبحان الله كيف حماني الله، كيف سخر لي الله، الله أكبر من لي غير الله! من ألهمني إلا الله، كيف تذكرت هذا إلا بأمر الله؟ كيف مر في خاطري هذا الحل إلا أن الله ألهمني إياه!

فيبقى عبد صادق يفكر في حماية الله وعطية الله وجوار الله ويرى أن الخلق قد سُخّروا له فيكبر الله ويعظم الله ويسبح الله، سبحان الله ليس شيء بمثل ألطاف الله، دبرنا يومنا وليلتنا أن يأتي غدا والصورة كذا وكذا من أجل أن لا يحصل كذا وكذا، فيكون تدبيرنا لا شيء ويدبر الله لنا الله أحسن شيء، وقد احتمينا نحن ببيت العنكبوت فأخرجنا الله إلى حماه وأرانا قدرته وقوته وعظمته، فسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا إله إلا الله.

فيستعرض الإنسان نفسه حاله وحال الخلق حوله ويتمثلها بهذه الأمور ويراها تامة الصراحة، مثلًا يأتيه مقطع فيرى كيف يتبركون مثلًا ببقرة يقول سبحان الله ! كيف هذه يقع عليها الذباب لا تستطيع أن تدفعها! آمنا بالله، وإذا أخذ منها الذباب شيء لا تستطيع أن تستنقذه! فكيف يطلبون منها حوائجهم! الله أكبر الله أكبر!

ويبقى لا يترك شاردة ولا واردة ولها صور أو يمكن تقريب الصورة من القرآن مثلًا في سورة الحج كان المثل عن الأصنام التي لا تتحرك كيف أنه لو أتى الذباب وأخذ منها شيء لا تستطيع استنقاذه لكن هذا يشبهها في البقر والحيوانات.. بل الإنسان.

فالمقصود أن هذا تقريب للصورة أن كيف هؤلاء كلهم يشتركون في أنهم لا يستطيعون أن يستنقذوا شيء من الذباب بدون أن يرده لهم الله، وهكذا يبدأ الإنسان يتدرب على أن يفكر في الصور التي أمامه كالصور التي ضُربت في القرآن.

ويرى كل زاهي من أمور الدنيا كالنبات الذي قريبا سيموت، ويرى كل علو يذكره بأنه لو بعدت عن التوحيد كأنك خررت من هذا العلو فكن حذرًا، احفظنا يارب، لأن الناس لما ينظرون في العلو إما يخافوا من الأشياء العالية وإما يفكروا لو صعدت وسقطت ماذا يحصل لي، فيخاف على بدنه، وهذا خيال، لكن الأولى أن تفكر أنه هكذا لو كنت فوق محفوظ بالتوحيد ثم زلت قدمي فتقول أتعرف على هذه الطاقة وأبحث فيها وأتعلم عنها والحكمة ضالة المؤمن إلى آخره..

ستر كانت مغلقة عليك تفتحها لتعرف أنك ستخر من السماء، ستخر من هذا العالي الذي تخاف على أعضائك منه أن تتكسر وتموت، وأشد منه روحك ستذهب لو أنك وضعت قدمك في هذا العلم.

∴ مثله لما تأتينا الصور النبوية فيمثل النبي صلى الله عليه وسلم بأنه النذير العريان الذي أتى ينذر القوم أن اهربوا من الشر، فتصور النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المثابة وأنه يحذر القوم من أنهم يقعون فيما يهلكهم ويذهب بهم، وقد وصف نفسه صلى الله عليه وسلم أيضا في الحديث –وهذه الصورة جميلة جدا أن تبقى في أذهاننا فنتصورها– كيف ضربت الملائكة له مثل فقالوا : ((مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ))[٩].

وهكذا تتصور الصورة أن الله عز وجل بنى الجنة وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو إليها، بالضبط مثل صاحب الدار بنى دارًا وجعل فيها مأدبة، وأرسل من يدعو إليها، في عقولنا صاحب الدار لما أرسل المرسول أرسله للخلق من أجل أن يدلهم كيف يصلون إلى الدار، فتصور نفسك وراء هذا المرسول سمعت النداء وتريد أن تصل إلى الدار، هل من المعقول أن تقترح على المرسول أن الطريق من هنا أو من هنا؟! أو أنك تمشي وراءه لأنه يعرف وأنت لا تعرف؟ فمن الطبيعي أنك تسير وراءه، فلو وجدت نفسك تقول سأذهب من هنا وأختصر الطريق، إذن حكمت على نفسك أن ستضيع، لأنك لابد أن ترى المرسول أو ترى من هو وراء المرسول أو من هو وراء وراء المرسول، المهم أن تبقى مع هذا الركب الذي آخرهم يرى المرسول، وتطمئن أنك باقي ولم تضيع وتدخل في قافلة أخرى!

ولو كسلت وتعدوا الناس، سيسبقوك، لكن أهم شيء تبقى في نفس القافلة وراء هذا الداعي، تصور هذه الصورة جيدًا ثم نتصور كيف الناس يبتدعون ويخرجون وتسمع هنا أسماء لم تكن تعرفها، تسمع أسماء عجيبة، ترى ناس يأتون فينكرون أمور الداعي دعى بها!

---

[٩] رواه البخاري في صحيحه.

يثبت الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يسأل الجارية أين الله فيقولون لك لا تسأل أين الله! النبي سأل الجارية أين الله فأشارت في السماء، والله يقول في كتابه {أأمتنم من في السماء}، والفطرة تقول أنه لابد أن يكون الإله العظيم في العلو، ماذا فعل هؤلاء؟

تصورهم جيدا وقل الحمدلله، تصورهم كانوا سائرين في الطريق وجاءهم أباضي مثلا شق طريقاً ليس وراء النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، شقّ طريقا من الجنب وقال من هنا السير إلى الجنة، قالوا أولئك؟ قال أولئك لا يعرفون! فإن من عقيدة الأباضي تكفير كثير من الصحابة، واعتقاد أنهم ليسوا على الملة، فتقول كيف وهؤلاء وراء الداعي مباشرة! يقولوا لا، ليسوا بشيء! شقّ وخرج، وناس سائرين على الطريق وكلما يسير جماعة كبيرة في جيل فيروا هذا الطريق فيذهبوا له ويتركوا الطريق المستقيم! تصورهم بهذه الصورة.

فتقول الحمدلله يارب احفظ علينا إيماننا واجعلنا أهل السنة!

ولذلك ليس لأهل السنة اسم إلا أهل السنة، لا نريد هذه الخنادق التي شُقّت، هؤلاء خرجوا وكفّروا الصحابة، هؤلاء خرجوا وألّهوا آل البيت، هؤلاء فعلوا وفعلوا وكل هذا الإزعاج الذي نسمعه، إنما هم قوم دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم فاقترحوا هم على الرسول صلى الله عليه وسلم.

كيف يسمعوا كل الفضل في القرآن للصحابة وكيف يأتي ذكر الصحابة في التوراة والإنجيل والقرآن ثم يقولون لا بأس كان فضل لهم لما كانوا ولما كفروا خرجوا من هذا الفضل !! يا الله عين الضلال!

المقصود لما نرى هذا نقول الحمدلله ثبتنا على الطريق، يارب اهدنا الصراط المستقيم، فتبقى ذاكرًا الصراط المستقيم فتقف في الصلاة يكون قلبك متعلق بالصراط المستقيم، تريد الصراط المستقيم، تتصور ما معنى أن تضل عن الصراط المستقيم، تفهم ما معنى أن يكون الإنسان سائر ثم يقترح على الشرع ما يخرجه نن الشرع! النبي يقول الطريق من هنا، أنت تسير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الله لما بنى الدار وجعل المأدبة أرسل منادي يقول من هنا الطريق، لا تصل إلى الدار إلا من جهة المنادي، فكيف وأنت لا تعرف! لا يعرف مكان الدار إلا من أرسله صاحب الدار.

فيا عجب ممن يفعل هذه الأفعال ثم يرى نفسه خير من الداعي الذي أرسله الله، وقد شق للمسلمين طريقاً أبعدهم به عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم.

على كل حال هذه صورة من صور التفكر التي تورث الذكر العميق، فالذي يفكّر جيّدًا في الزيغ وكيف الناس زاغوا يستطيع أن يقول ربنا لا تزع قلوبنا بعد إذ هديتنا من قلبه، يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك من قلبه.

والذي يتصور كيف الناس في ظلمة يطلب النور من قلبه، والذي يتصور الناس وراء السراب يطلب الهداية والصراط المستقيم من قلبه وهكذا، ويكبر الله ويعظم الله ويحمد الله، إنّ على الحق نور، ويبقى يذكر الله حتى تظهر له تفاصيل تفاصيل الحق والهداية إلى الصراط المستقيم.

يأتينا بعد ذلك إن شاء الله يوم غد الكلام حول التفكّر في أحوالنا الخاصة، ذنوبنا ومعاصينا ونعم الله علينا، وكيف تورثنا قلباً ذاكرا.

أسأل الله عز وجل بمنّه وكرمه وفضله أن نكون من الذاكرين حقا..

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الذكر والعشر (٤)

أ. أناهيد السميري

يوم الخميس ٣ ذوالحجة ١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عزّ وجلّ، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

عناصر اللقاء :

- لابد من التفكير في المبادرة بالأعمال.
- التفكير في أحوال العبد الخاصة توصله إلى ذكر الله عز وجل (تذكّر أيام الله فينا).
- كيف نصل لتكبير الله وتعظيمه؟
- خصائص التكبير.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله عز وجل حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله سبحانه وتعالى بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل الذكر في هذه العشر، وأن نخرج من هذه الدنيا وقد ثبتت قلوبنا على دينه وانطلقت ألسنتنا بذكره، فيكون آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله!

وهذه أحد الرغبات والأماني التي يرغبها العبد وهو يُطيل الذكر هذه الأيام أن يقبله ربه فيجعل قلبه عامرًا بذكره ولسانه لا يفتر عن ذكره سبحانه وتعالى، فيبقى رطبًا بذكر ربه، فيكون مآل هذا كله أن تأتي لحظة القبض وقد يسُر على هذا اللسان الذي يثقل وقت القبض بما يلاقيه من أحوال مهولة أن يثبت هذا القلب وهذا اللسان فيبقى يذكر الرحمن حتى يكون آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله!

ومن المعلوم أن الله قد جعل هذه الدنيا محل اختبار وأن إلى الآخرة دار القرار، وفيها يكون المصير إما إلى جنة وإما إلى نار!

ولما كانت الآخرة هي حصاد لما يقدّمه الإنسان في الدنيا، جعل الله لنا مثل هذه المواسم العظيمة والله له الفضل العظيم على خلقه، وأمرنا فيها بالمبادرة والمسارعة للأعمال الصالحة: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}[1]

غدًا توفّى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا فلأنفسهم وإن أساؤوا فبئس ما صنعوا

المقصود أن العباد جميعًا لابد أن يفكروا في مبادرة الأعمال مادام أنهم وُفقوا بفضل الله أن يعرفوا من هم ومن أين أتوا وإلى أين المصير وماذا يجب عليهم أن يفعلوا؟ فالواجب عليهم المبادرة، المبادرة!

وقد ورد في الحديث: ((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا، هل تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوِ الْدجّال فَشَرُّ غائب يُنْتَظَرٍ، أَوِ السَّاعَةَ فالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ))[2].

[1] آل عمران: ١٣٣

[2] رواه الترمذي وقال: حديث حسن

- فالمبادرة بالاغتنام تجعل العبد يفكّر كثيرًا في حاله، الإنسان لما يفكّر في أحواله مبدؤه ومنتهاه، أحوال الناس حوله، لابدّ أن تكون هذه الفكرة سبب لذكر الله.

ونستعرض سويًّا هذا التذكير لنصل إن شاء الله اليوم مع نهاية لقاءتنا لنصل إلى حقيقة هذا الذكر الذي اختصّ به العشر خاصة من التكبير.

التفكير في أحوال العبد الخاصة وكيف أنها توصله إلى ذكر الله عز وجل.

فلو لاحظنا أنّ العبد تمرّ عليه من الأقدار التي تخصّه، فيرى فيها آثار لُطف الله، ويرى فيها آثار رحمة الله، ويرى فيها آثار ستر الله، ويرى فيها لقلبه أعمال ما كان يراها من دون هذه الأقدار، فيرى ذلًّا من قلبه لربه، ويرى انكسارًا، ويرى إقبالًا، ويرى فرحًا بالله، ويرى من نفسه أحيانًا جهلًا لعظمة الله، يرى كيف كان معترض على شيء من أقدار الله وبعد زمن تبيّن أنّ فيها من الخير ما لا يتصوّره العبد في أول ومبدأ نزول القدر.

فالتفكر في أحوالنا التي تخصّنا وأقدارنا التي مضت علينا، بمعنى تذكّر أيام الله فينا وكيف أن تذكّرها سبب لذكر الله، كم كنا في جهالاتنا نتمنّى أن نكون كذا وكذا، فمن رحمة الله أغلق علينا كل الأبواب التي توصلنا إلى كذا، فنقول في نفسنا بعدما نتفكر: الحمد لله أنه لم يستجاب دعائي أن أكون كذا وكذا أو أن يحصل لي كذا وكذا.

وتتفكر وتقول الحمد لله الذي ستر علي في ذاك الموقف، الحمد لله الذي منعني من ذاك الشخص، الحمد لله الذي ما فضحني بعدما ارتكبت كذا وكذا، الحمد لله الذي صرف عني أثر كلام الناس في وقت كذا وكذا..

وهكذا يبقى الإنسان يفكر في أحواله التي تخصّه هو فينظر كيف أنّ الله عزّ وجلّ قد منَّ عليه وعامله بالستر، وعامله بالرحمة، وعامله بالحلم، وعامله بما يعرف هو أنّ الله عز وجل عامله به، هذا فيما يذكره في أيام الله.

وكثير ما ننسى أفضال الله، وكثير ما يذكّرنا الله بأيامه معنا ونحن عنها غافلين ولا نقوم بالشكر كما ينبغي له سبحانه وتعالى.

فمن أسباب ذكره بالقلب واللسان معًا: أن نركّز على تاريخنا الذي يخّصنا وحتى التاريخ الذي عشناه مع غيرنا.

كيف سبحان الله كان هذا الشخص بعيد عن الهداية فسبّب الله له موت عزيز مثلا أو سبب له مصيبة كذا وكذا، سبحان الله كيف كان هذا سبب لأن يعود لطريق الله! ما ألطف الله بخلقه!

سبحان الله كيف هذا كاد أن يهلك في كذا وكذا، لكن الله عز وجل رحمه بكذا وكذا!

سبحان الله كيف هذا ستر الله عليه مرة واثنين وثلاثة، لكنه مُصرّ على ما فعل والله ستير لا يفضح العبد إلا بعدما يطول زمن إصراره، فنقول سبحان الله هذا وصف الله الواضح الذي نرى آثاره!

وهكذا يبقى العبد يفكّر في خاصّة حاله ويفكّر في مَن حوله مِن أيام الله وخاصّة فيما يتّصل بتقصيره مع ربه.

فنحن نفكّر في أيام الله كيف سترنا، كيف عاملنا بحلمه، كيف نجّانا، كيف آوانا، كيف أطعمنا وأسقانا، كيف حوّلنا من الجهل إلى العلم، كيف سبّب لنا أسبابًا لنكون في خير حال، كيف دلّنا على الهداية، كيف عرّفنا به..

لابد أن هذه التواريخ كلها تكون تواريخ مشهورة في داخلنا، **{وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ}**، لابد أن تبقى أيام الله في نفوسنا في مكانها، فنسبّحه ونكبّره ونهلّله ونحمده من قلوب تشعر بنعمائه، تشعر بستره وحلمه، تشعر برحمته وعطيّته، تشعر بأفضاله، تشعر أنّه الملك الذي يقسم في ملكه ما يشاء والملك الحكيم الذي أعطانا ما يناسبنا، ومنع عنا ما يضرنا.

ونقول لنفسنا لو أعطانا كذا كان فسقنا، لو أعطانا كذا كان ذهبنا، ونقلّب نقلّب ونقول لأنفسنا انظر لنفسك في الصحة ماذا تفعل؟ قس نفسك كيف لما يعطيك الله المال الكثير في زمن؟ ماذا تفعل؟ تنسى ذكره، وتنسى شكره، وتنسى أن تصلي، وتشعر أنك حريص أن تبقى منفقًا تنفقه في وجوه الهوى وتظهر به، فلما أخذه منك، عُدتَ مستكينًا مؤدبًا طالبًا، أنت لا يصلح لك إلا هذا القدر من الرزق، الله رحيم ويريد لك الصلاح.

- فكّر جيدًا لتدخل على قلبك ذكره والرضا به
- وفكّر جيدًا لكي لا تظنّ أنّ هناك قدر ليس في صالحك
- وفكّر جيدًا أنك ما أصبت بألم هنا إلا أن يمنعك من طغيان هنا، ما أصبت بمنع هنا إلا من أجل أن يحفظك من تطاول هنا.

وهكذا وهكذا حتى يتبيَّن للعبد أن كل عطيّة أُعطيها وكل منْع مُنعه إنما هو من أجل أن يبقى الإنسان على الطريق، كل الذي مُنعته أبواب فُتحت لك إلى طريق الله، كل الذي أعطيته أبواب فتحت لك إلى طريق الله إن انتفعت إن رضيت، إن عرفت أن الذي أعطاك هو الله الموصوف بالكمال، إن اعترفت أن الذي منعك هو الله الموصوف بالحكمة والجلال.

ويبقى هذا في الذهن يفكّر فيه العبد الذي يعرف الله معرفة حقيقية، ويحسن الظنّ به، فيسبّب هذا له ذكره.

- تتذكّر مواقف كنت في شبابك بينك وبين الانحراف بمقدار خطوة قدم، الحمد لله، يارب لك الحمد حفظتني، كيف كنت جاهلة سأهلك نفسي! ثم تفكّر أكثر لما كان عمرك كذا كيف كان هناك قرار أصررت عليه وأصبحت تبكي وتبكي وتدعي ذليلًا بين يدي الله أن يعطيك الله، فكان من رحمة الله أن منعك الله ودلّك على طريق آخر، ذهب تعلقك بهذا الشيء وفتح لك باب طريق آخر وأصبحت لا تشكّل شيء في نفسك، والحمدلله أن الله منعني من هذا الطريق وأدخلني هذا الطريق.

ثم تفكّر في الذنوب والمعاصي المهلكات التي تقصف بعمر الإنسان وبحسانه! تفكّر كم قصّرنا في طاعته، كم اقترفنا ذنوبّ!

- تتذكّر ذلك الموقف الذي كنت فيه تاليًا لكتاب الله ورأيت أحد والتفت قلبك بالكلية له وأردت منه أن يستحسنك واستمريت وأكملت وأنت منتظر استحسانه، ثم تيقّظت فتُبت! لازال حرقة ذاك الرياء لازلت تشم رائحة شياطه، لازلت تشعر كل مرة تتذكر هذا الموقف كم أجرمت لما أشركت بالله غيره! فيخرج من لسانك الذكر استغفر الله استغفر الله اغفر لي يارب، امحيها من صحائفي، لا تجعلني ألقاك وأُحاسَب عن هذا، امحيها، اغفر لي، تُبت إليك من هذا الموقف ومما يشبه له.
- وتتذكّر أيضًا كأنك دخلتك شبهة ذاك اليوم وأنت ساجد أن يراك فلان وفلان فيزعجك هذه المشاعر فيقفز قلبك إلى الله أن اغفر لي! فيستغفر لسانك تقول استغفر الله من قلب حقًّا شعر بالجريمة.
- تتذكّر قد أسأت الظن بفلان ثم تبيّن براءة فلان وأنه لم يقصد ولم يقل ولم يفعل، وقد استغفرت سابقًا لكن الآن تتذكر فترى حرارة الذنب لازالت موجودة فتقول استغفر الله، فتتجدد التوبة.

وكما هو معلوم تجدد التوبة من دلائل صدقها ومن أبواب قبولها.

وهكذا بحيث أن يأتي هذا النوع من الذكر ذكر عبد يعلم تقصيره في حق ربه، ويعلم أيام ربه كيف كانت معه، وكيف أعطاه، وكيف ستره، وكيف وهبه، كيف غفر له، فإنه يرى آثار نعمائه عليه.

وهكذا وهكذا يبقى العبد يفكّر في أيام الله وفي عطاياه، ويرى بعين المؤمن الذي يعرف ربه كيف كان كل المنع عطية، وكيف في العطية وُفّق من الله، وكيف أعطاه الله الحول والقوة على أن يفعل، وكيف أعطاه الله الحول والقوة على أن يشكر، وكيف أعطاه الله الحول والقوة على أن يصوم، على أن يقوم، على أن يحج، على أن يتصدّق..

- يفكّر في حياته، كيف مات أحد والديه وقد وُفّق لبرّه، الحمد لله الحمد لله، أو مات أحدهم وهو مقصّر، استغفر الله، ارزقني يارب أبوابًا لبرّهم بعد موتهم.

فيبقى عقله يدور في تاريخه الذي يخصّه ويتفكّر فيه، فيخرج اللسان ذاكرًا للرحمن ذكر الصادقين، مستغفر استغفار الصادقين الشاعرين بذنوبهم، لا استغفار يحتاج إلى استغفار! إنما استغفار صادق من قلب شاعر بحقيقة التقصير.

ينظر حوله فيرى عظيم النعم التي تتزاحم عليه، ويرى نفسه أي شيء شكرته؟! أي من هذه النعم شكرت؟! فيتفكّر في النعماء ويقول بصر يرى الدنيا وأيضا يرى حقائقها، وأذن تسمع وأيضًا تسمع كلام الله، فأيّ شكر هذا الذي شكرته على أن جعل أذني مكانًا لكلامه، وجعل عيني تنظر لكلامه، وجعل قلبي يحمله؟!

وكيف هذه النعمة نعمة أن تستطيع أن تتلو كتاب الله تحت لسانك بأيسر ما يكون؟!

متى شكرت أن يكون القرآن يسير على لساني؟! متى شكرت أن انظر إلى آياته؟! متى شكرت أني بسهولة أسمع القرآن؟!

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

من عظيم نعمائه أن تذكره فيسهل عليك ذكره، وتقرأ كلامه فيسهل عليك، وتبصره بعينك وتكون صاحب بصيرة بمعانيه.

وهكذا مهما قلّبنا سنجد هنا آثار كمال رحمته، وهنا آثار كمال قدرته وقوته، وهنا آثار عظمته، وهنا آثار أنه سميع قد سمعني وأنا أناجيه وأناديه وأطلبه وأدعوه، وأشهد أنه سمعني، سألته أن يشفيني فشفاني، وسألته أن يأويني فآواني، أن يكسيني فكساني، أن يعطيني فأعطاني، هذا كله يشهد أنه سميع أنه بصير.

حتى أني في أيام كثيرة لم أنطق بطلب إنما دار في فؤادي أمنية، فأعطاني، عليم بما تُخفي الصدور، هذا يشهد بهذا وهذا يشهد بهذا، تكاثرت الشواهد حولنا على كمال صفاته، وكلما تذكّرت علمه قلت سبحان الله، كلما تذكرت أنه يسمعني وأنا أذكره قلت سبحان الله، كلما تذكرت أنه ينظر لي وأنا أعبده وأشتغل بذكره أو أشتغل عنه، قلت سبحان الله!

لما أتذكّر أنه قريب مجيب أقول الحمدلله، لما أتذكّر أنه يعلم ما في قلبي وإرادتي وأن الناس لا يعرفون ويظنون أقول الحمدلله.

المقصود أنّ هذا شيء فوق أن يوصف في حياة الخلق، لكن ذكّرهم بأيام الله، فإنّ أيامنا كلها أيام الله، ظهرت فيها كلها آثار كمال صفات الله، من عرف الله عرف آثار كمال صفاته في حياته.

والأمر يحتاج منا مزيد تفكير، فإن قلوبنا هذه كالرحى –كما مر في كلام ابن القيم– لابد أن تدور، فإذا وضعنا فيها ما في ذاكرتنا من أحداث ومواقف وكيف الله عز وجل اليوم مرر عليّ بعض من الخلق آذوني بصفاتهم وغدًا جعل هؤلاء القوم الذين آذوني بصفاتهم مدرسة لي أحسن أخلاقي من صفاتهم!

واليوم رزقني معلم يرشد إلى الصواب ويقول إذا واجهت من يفعل كذا فاحتسب على الله وافعل كذا، وغدا أواجه من علمني المعلم، وهل المعلم يعلم الغيب؟! إنما علام الغيوب رزقني هذا يقول لي وسددني أن أفعل ما يحبه هو ويرضا.

فإن هذه الأذكار والخواطر التي تجول في نفوسنا بمثابة الحب نطحنها، وهذه الأحداث التي تمر علينا لابد أن ترمى في هذا الرحى ونطحنها ونرى ماذا تُخرج.

كيف هنا يعلمني درسًا قاسيًا من هؤلاء، آذوني فعرفت أن ما أسوأ – مثلًا – سوء الظن، عشت معهم في عمل شهر أو شهرين ووجدتهم يقلبوني على الجنبين في سوء الظن، إذا أحسنت أساؤوا الظن، إذا أقبلت لهم أساؤوا الظن، إذا ما قلت لهم أساؤوا الظن، عذبوني! لكن كان هذا العذاب في مكانه لأني مستعد لسوء الظن، ولو ما عشت في هذه الشواية من كل جهة يؤذوني، كنت لن أخرج وقد نضج بي البعد عن سوء الظن ووضعت حواجز، وكلما تقدمت ولمحت سوء الظن من نفسي تفجعت حتى لا أكون مثلهم أفعل فعلهم.

ما أعظم الله! ما أرحمه، لو أُعطيت دروسا طويلة لا تسيء الظن ولا يحق لك وتؤذي المسلمين.. لن تقع في مكانها إلا بعد ذاك الشواء، وقعت في مكانها.

سبحان الله كيف يجهزني! أو أسمع من العلم ما أسمعه ثم لا يدخل في مكانه، فأعتصر بموقف أعرف ما معنى أن يكون الإنسان ذليل لربه، أعتصر بموقف فأعرف كيف لما الله عز وجل يلطف بالعبد ويخرجه، سبحان الله كم في تاريخ الإنسان نفسه من أحوال لو حلّلها لرأى آثار كمال صفات الله، لرأى كيف أن الله يستحق أن يكبّر ليلًا ونهارًا، ويعظّم ليلًا ونهارًا، ويحمد ليلًا ونهارًا، ويسبّح ليلًا ونهارًا.

إنّ أيام الله في حياة العبد خير شاهد على كمال صفات الله.

وهذه الحبوب التي يجب أن توضع في القلب ويُفكّر فيها كم سترنا كم جبرنا كم أعطانا حول وقوة، كم وفّقنا كم علمنا، كم ساق لنا العلم وساقنا للعلم، كم ساق لنا الفهم وكم ساقنا للفهم، كم أرانا حقائق يقضي الناس أعمارهم ولا يصلون إليها! كم أنعم علي أن أسمع تجربة عشر سنين أو عشرين سنة من شخص تختصر علي في عمري كل هذه العشرين؟! كم جعلني أتنبّه لأحوال من حولي، كم تأتيني عبر تختصر علي أزمنة، كم وكم من أيام الله !

كم وكم من أيام الله لو فكّر فيها العبد لقال سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله!

المقصود أنّ هذا التفكير في أحوال العبد وأحوال العباد حوله وخاصّة التفكير في الذنوب تورث قلبًا رقيقًا يذكر الله ويتوب إلى الله ويستغفر الله ويعظّم الله ويكبّر الله ويثق في الله.. فترى قلبًا يذكر أيام الله وتسمع لسانًا يكبّر الله ويهلّله ويرى آثار رحمته وستره وجبره في حياته.

نعوذ بالله من الغفلة عن أيام الله، وما أكثر الغافلين وما أقل الذاكرين! نسأل الله أن يجعلنا من الذاكرين ويغفر لنا غفلتنا عن أيامه التي نشهدها في كل حين.

نكتفي بهذا القدر من الكلام حول حقيقة الذكر..

ونغلق لقاءنا بالكلام حول هذه الكلمة العظيمة التي هي الكلمة التي يُراد لنا الوصول لها وهي تكبير الله عزّ وجلّ وتعظيمه.

كيف نصل لتكبير الله وتعظيمه؟

هذا التكبير والتعظيم مبني على التفكير، القلب يفكّر في آلاء الله ونعمه وعظمته، يفكّر في الأمثال التي ضُربت في القرآن ويقيسها ويعيشها، يفكّر في أيام الله عليه، وكل هذا كما مر معنا إنما هو موجود في القرآن، فإنّ الله وصف لنا أولي الألباب الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض ويقولون سبحانك، والله عزّ وجلّ ضرب الأمثال وأخبرنا فيها أنها لقوم يتفكرون وكيف أنهم لما يصلون إلى حقائق هذه الأمثال ويصلون إلى التفكر فيعرفون الحقيقة فيعرفون من ربهم وما حقيقة الحياة التي يعيشونها.

واليوم تكلمنا عن ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ والمنتظر بتذكيرهم بأيام الله أن يكونوا من الخاضعين المنكسرين الذاكرين لرب العالمين.

الذي يتفكّر في آيات الله في السماوات والأرض في آلائه في عطاياه، والذي يتفكّر فيما ضرب لنا من أمثلة في القرآن وصورها حولنا والذي يتفكر في أيام الله في نفسه وفي غيره ← لابد أن يصل فيعظم الله ويكبّره.

ومعنى أن يكبّره يُذعن لكبريائه سبحانه وتعالى، فالذي يقول الله أكبر هذا يعلن عظمة الله ويذعن لكبرياء الله

فيعلم أنّ الله هو الكبير ولا أكبر منه

يعلم أنّ الله الملك الذي خضع له كل شيء، فإذا خضع لهذا الملك كل شيء فكل شيء عظيم من عظمته، رزاق النعم كلها منه، خالق سبحانه وتعالى فالمخلوقات كلها منه، ويشعر أنّ الكبرياء لله، فإن هؤلاء الذين يتعاظمون بإنجازاتهم أو يتعاظمون بقدراتهم إنما إنجازاتهم بحول الله وقدراتهم دليل على قدرة الله، أعطاهم الله هذه القدرة ليكونون.

ولذا لا كبرياء إلا لله فمن ثمّ يكون الدين لله، بمعنى أنّ العباد كلهم خاضعين ولربهم مكبّرين، بمعنى أن العباد كلهم يقولون الله أكبر فيعلنون أنه هو العظيم، الله أكبر في ذاته، الله أكبر في قدره وقدرته، الله أكبر في عزه ومنعته وجلاله.

فمن ثمَّ المؤمن لما يقول الله أكبر فيقول ثقتي بالله، حسن ظني بالله، فإذا حدثت أحداث أو حصلت أمور، يعرف أن القوة لله وأنّ الله سبّب أسبابًا لكي تقع هذه الأحداث، فلما تقع الأحداث أو الأحوال لمن يكبّر الله يعلم أنّ الله سبّب الأسباب لها، وأنه لما تأتي هذه الأحداث لا يُذكر إلا الله، فهو المغيث يستغاث به، وهو المعين فيطلب منه العون، وهو الذي يحفظ ويمنع وييسر ويدل.

فلما يأتي أحد مثلًا في الحج ويحصل حدث مثل ما حصل في الحرم المكي -زاده الله تشريفًا وتعظيمًا- وهذه الأحداث على مر السنين تحصل ويحصل مثلها وكل زمن على حسب أحواله، والحمد لله على الأمن والأمان والذي يقرأ التاريخ يرى كيف في سنة من السنوات الحجيج يطوفون بيت الله ويأتي القرامطة يجعلون دماء الحجيج إلى ركب الخيل ويسرقون الحجر الأسود والناس كانوا في يوم عيدهم يوم الإفاضة! فمن يقرأ التاريخ يعرف أن الله يبتلي الخلق ببلايا ويختبرهم باختبارات، يحدث حدث مثل هذا فمن فضل الله أنك لا تسمع إلا ذكر الله، يكبرون يهللون يذكرون الله، ويكون هذا إيمانًا منهم أن الله هو الذي ينجي الآن، لا يطلبون غير الله، ثم يحصل هذا الحدث فينظر من كان معه إيمان أن هذه قدرة الله، هذا أمر الله، يحصل هذا الحدث فيعرفوا أن الله هو الذي سيأجر موتاهم، ويرجون من الله أن يتقبلهم شهداء، وأن الله يشفي جرحاهم ويضاعف لهم الأجور ويكفر عنهم السيئات..

فوقت الحدث ليس هناك إلا الله، يُذكر الله وقت ما وقعت الأحداث، يُذكر الله على الآثار، يُذكر الله في الآمال، ويُدعى أن يسخّر للمسلمين من يعتني بأحوالهم ويهتم بهم، وهذا كله في قلب الحدث لا علاقة له بلوم المخطئ، هذا شأن آخر الذي يحاسبه ويعاتبه ولي أمره يتصرف معه، لكن المقصود الآن أنه وقت حدوث الأحداث المؤمن لا ينظر في وقت الحدث إلا لفعل الله، الله شاء، الله اختار، قدّر، حكمته بالغة، رحمته واسعة، أبواب عطيته فوق التي يصفها الخلق، وكل هذا وراءه ما وراءه من الحكم التي لا يستطيع أحد تقديرها ولا أحد يستطيع منع قضاء الله عز وجل.

هذا التفكير منفصل تمامًا عن تفكير من أخطأ من قصّر من أهمل، فذاك له أهله ومسؤوليته الحساب وعند الله شأنهم معلوم إن أهملوا وقصروا في حق المسلمين، لكن المقصود وقت وقوع القدر سمعت ذكر الله، سمعت أن الله فوق هذا كله، الله أكبر في هذا الذي يحصل، أكبر يمنع ويحفظ ويقدر ويشاء ما يشاء ووراءه الحكم العظيمة، وراءه الاختبارات، فلما يكون الأمر بهذه الصورة يفهم المؤمن ما معنى تكبيره لله.

لما يرى المؤمن النار مما هو معلوم في الأذكار أن يكبر الله، فالله أكبر من هذا مخوفك، والله على كل شيء قدير، والله يطفئها، والله يدفع السوء عن من حولها، والله يحفظ المسلمين وهكذا.

هذا مجروح هذا مقتول.. ما قدّره الله كله حكمة، ووراءه الخير الكثير، ولا يشعر بهذا كله إلا المؤمنين، ولذلك دائمًا في الأقدار لما تنزل الأقدار التي لها أسباب، ونحن لا نناقش الأسباب إنما نناقش في لحظة القدر من هذا الذي يكبر الله، لما تأتي الأقدار ينقسم الناس إلى قسمين: مؤمن قد آمن أنّ الله قد سبّب الأسباب وأوقع الأقدار، وأن اختبارنا بعد وقوع القدر في أن نعظّم الله، نرضى بالقضاء وننتظر أن يكون هذا المصاب سببًا للأجور، سببًا لرفعة المؤمن، سببًا لأمور يجهلها الإنسان بتفكيره.

وإلا نفكّر في عصر مثل عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وهو صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق على الله، تحصل حادثة مثل حادثة الإفك! لها أسبابها، تنزل أُمّنا يخطئ الجمالة فيحركون جملها، يأتي وراءها من يسعى وراء الجيش يأتي بها، يراها المنافقين قبل المؤمنين وهي تدخل المدينة، لماذا تجتمع هذه الأسباب؟! وهي من أكثر الأشياء المزعجة أن يأتي في عرض النبي الكريم أن يتمكن أحد من الكلام في عرض النبي الكريم، لماذا؟! هذا قدر يشاءه الله لحكمة بالغة، الله أكبر!

نحن نثق بالله ونحسن الظن فيه، فلا تقف العقبات في حياتنا فتفقدنا الإيمان، وقعت عليهم حادثة الإفك، كان مصاب، عاش المسلمين في شهر وهم في حال من الألم على أمنا وعلى النبي صلى الله عليه وسلم، وما يحزنه ويكدره، فهذا عرض الرجل العربي بل الرسول الكريم! وهذا شأن لا يشعر به الحقيقة إلا من خالط حالة ورأى كيف يكون حال الناس لما يشعرون بشيء من هذا، أو يشكون، وكيف أن جرائم قتل كثيرة من أجل الشرف ومع ذلك يبتلى النبي الكريم ويبتلى الصحابة الكرام، لم؟!

الله حكيم، فيكون الأثر أن يُرفع شأن أمنا وتنزل فيها آيات تتلى إلى يوم القيامة، ونبقى نذكرها باسم العفيفة، مثال الشرف والعفة، ويبقى هؤلاء الذين ماتوا بأمر الله قد سُبّبت أسبابًا، لا نتكلم الآن عن الأسباب وعن الإهمال أو غيره نحن نتكلم عن قلب الحدث من نكبر من نعظم؟ لمن نلجأ؟

إذا بقي الإنسان يفكر في الأسباب ويبقى طول حياته بهذه الطريقة، ستأتي المواقف ما يكون الله أكبر من كل شيء عنده! ولن يكون الله أعظم من كل شيء عنده! فتقف دائما في حياته العقبات، يخاف من المستقبل، يتحسر على ما فات، ويبقى دائمًا في دوامة.

الله أكبر وأجل وأرحم من أن يترك عباده المتعلقين به واللائذين إليه فلا يحميهم ولا يعطيهم ولا يحفظهم.

وهؤلاء ماتوا! فنقول وأصحاب الأخدود دخلوا إلى النار فماتوا، لكن الله عز وجل قال عن حالهم **{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ}**[٣]!

ماذا تريد! كل الناس سيموتون، لكنه اختار لهم أن يموتوا هذه الميتة والله أعلم بأحوالهم، والله أعلم بما كان في قلوبهم والله أعلم بقبوله لهم.

المقصود أن التكبير يجعل العبد يعرف أن الله عز وجل كبير بذاته، بقدره وقدرته، بعزته ومنعه وجلاله، فيثق الإنسان بربه ويحسن الظن به فما تقف العقبات في حياته، ما يخاف المستقبل، ما يتحسر على ما فات، ما يقول لو كان ولو كان، الله أكبر، الله أكبر.

هذا لما يكون قد وقع القضاء، لكن قبل أن يقع القضاء تعظيمه لله يجعله يفعل ما يستطيع ويطلب من الله الكبير أن يعينه ويساعده، لكن لما يقع القضاء في قلب القضاء لابد أن تعرف عن أي شيء تتكلم، لابد أن تعرف أن الله هو أكبر، الله هو الكبير، كلما قوي علمك ومعرفتك بأن الله أكبر، زادت الرهبة، الخشية، التعظيم، المحبة، حسن العبادة، لذة الطاعة، قوة اللجوء، سرعة اللجوء، لا تذكر غير الله.

الله أكبر من كل هذه الأسباب، لماذا هذا اختير وهذا لم يختار، لماذا خطا هذا السوء والآخر لم يخطيه؟!

إذن هذا الأمر في القلب يستدعي النظر وملء النفس ثقة وطمأنينة بأن الله هو العلي الكبير لا معقب لحكمه، إذا وقع من قدره شيء كان هو الذي يختار، يعز من يشاء، يذل من يشاء، يصطفي من يشاء، عنت له الوجوه وذلت له الجباه، وخضعت له الرقاب، وتصاغر عند كبريائه كل كبير.

هذا الإيمان وهذا اليقين أن الكبرياء والعظمة كلها لله وأن الله فوق هؤلاء كلهم، يجعل الألسنة تلهج دائمًا بذكره وشكره وحمده والثناء عليه وتمجيده والرضا به.

---

[٣] البروج: ١١

خصائص الله أكبر :

والله قد اختار هذه الجملة "الله أكبر" وخصّها بخصائص وأحكام ليست في غيرها

فمعلوم أن هذه الكلمة خاصة يكثر ذكرها وتتعد أحوالها وتتنوع أحكامها ويترتب عليها أشياء مختلفة

- فالتكبير مشروع في المواطن الكبار والمواضع العظام في الزمان والمكان والحال، مشروع في كثرة الجموع في الجهاد في النصر في المغازي.
- التكبير يكون لدفع النار
- التكبير لدفع شياطين الإنس والجن
- التكبير يكون شعار المسلمين في أذانهم صلواتهم وأعيادهم ومعاركهم
- وكما ذكر ابن حجر أن التكبير ذكر مأثور عند كل أمر مهول وعند كل حادث سرور شكرًا لله وتبرئة له عز وجل عن كل ما ينسب إليه من أعدائه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

ولو عددنا كلمة الله أكبر سنجد أنها كلمة عظيمة تُقال في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة! ونسمعها من الإمام والمؤذن أكثر من مائة مرة! وأكيد أنها في الأذكار تتردد عشر المرات، فهي شعار الصلاة والصلاة لا تنعقد إلا بلفظ التكبير، الإمام يكبّر ومن وراءه يكبرون، وحتى لما شُرع التكبير خلف الإمام إذا لم يبلغ صوت الإمام جميع المأمومين شُرع أن يبلغ بهذا التكبير.

وفي أحوال كثيرة يحتاج المؤمن أن يراجعها ويرى كيف الشيطان إذا سمعها تصاغر وتحاقر وخنس، فالكبرياء لله والذل والصغار على غيره، وقد ورد في الحديث أن التكبير يصاحب المسلم في سفره فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يوصي المسافر عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف، يعني كل مكان مرتفع.

فالحمد لله والله أكبر، الله أكبر مالك الأملاك، الله أكبر مدبّر الأفلاك، والله أكبر كلمة الحجاج وغير الحجاج، وهذه الكلمة العظيمة أمرنا الله عز وجل أن نقولها: {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ}[٤]، هذه الكلمة في مناسك الحج والعمرة لكن قال أهل العلم عنها أن التكبير مُعين على الهدى.

---

[٤] البقرة: ١٨٥

فهذا التكبير الذي ترتفع به الأصوات مما يشير إلى الهداية، **{وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ}** فالله شرع التكبير على الرزق والهداية والنصر.

ومن الباقيات الصالحات التكبير والتهليل والتسبيح والحمد، والحمد ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

فنسأل الله عز وجل أن نكون ممن كبر فجدّد عهد الإيمان وارتبط بالعلي الكبير بالجبار المتكبر، اطمأنّت نفسه لربه، وسكن قلبه وهدأت خواطره، خصوصًا إذا حلّت الكروب ونزلت الخطوب، وخصوصًا إذا أتت الهموم، والحقيقة أن بتكبير الله وتعظيمه ومعرفة أنه المدبّر الذي بيده كل شيء، يسهل العيش ويُشفى الداء.

وقد قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: "قول العبد الله أكبر خير من الدنيا وما فيها".

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنتهدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذي جعل بذكره يرسخ الإيمان ويقوى اليقين وتعظم الصلة بين العبد وربه وتفتح أبواب الخير للعبد وتفتح أبواب السماء.

وقد ورد في صحيح مسلم عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((مِنَ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟))** قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: **((عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ))** قَالَ ابْنُ عُمَرَ: "فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ذَلِكَ"[٥]

فالله أكبر كبيرا والحمدلله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا.

وفي الحديث **((التَّسْبِيحُ نِصْفُ الْمِيزَانِ، وَالْحَمْدُ يَمْلَؤُهُ، وَالتَّكْبِيرُ يَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ))**[٦]، هذا حديث أخرجه الإمام أحمد والترمذي. نسأل الله عز وجل أن نكون ممن ثقل ميزانهم بذكره وشكره.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

انتهت لقاءات الذكر والعشر

---

[٥] رواه مسلم في صحيحه.

[٦] رواه الترمذي في سننه وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَقَدْ رَوَاهُ شُعْبَةُ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ.